بوش يسقط في مستنقع العراق والصحوة العالمية

AL-HADAF

الهدف

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

العدد ١٣٤٨ . كانون أول (ديسمبر) ٢٠٠٣ . السنة الخامسة والثلاثون . الثمن ٢٠ ل.س . ١٠٠٠ ل.ل

AL-HADAF - No.1348 - 5/12/2003



في حوار القاهرة

لنرسخ حقنا باتفاق وطني شامل

أربعة تشكيليين عراقيين في «المدى»

رسائل عراقية!

من قلب الرماد.. ها هو العراق يتنفس لغة الحرية والجمال.. ينهض كالعنقاء ويواصل مع محيطه العربي، ليؤكد أصالة فنون الرافدين الماثلة من أيام آشور المجنح والبوابة الزرقاء في بابل، وما تلاها وصولاً إلى جواد سليم وهاشم البغدادي والعشرات غيرهم.

من بغداد اليوم جاء أربعة فنانين تشكيليين عراقيين، يشرعون أجنحة التواصل والوداد في معرض جماعي لهم بدمشق هم: أحمد نصيف.. فلاح العاني.. هادي ماهود.. أمجد الطيار.. عرضوا عطرهم في بيت «المدى» للثقافة والفنون.

عن تجاربهم نقتطف ما قاله الناقد نزار الراوي:

أحمد نصيف:

له أعمال أقل ما يقال عنها أنها تستوقف بلا تردد، وتزعزع إيماننا بثوابت الجمال وتطرح على من يراها أسئلة أكثر مما تجيب، يا لها من فجوات يتركها أحمد ليزيدنا قلقاً تجاه طمأنينتنا الساذجة، أنها لوحة أحمد من تذكر بأن النقد لا زال رهين لحظة الولادة في كل دقيقة.

فلاح العاني:

الذي تقمص الحقل ليسقط الفنان أرضاً، وكذلك ليتخلى عن جميع بروتوكولات الرسم الممنهج فيخلق من أعماله حقولاً غير حقول أهله التي عشقها حد التوحد والانصياع.. أجادت لوحته لغة الجمال أكثر مما أجادها الحقل، وأجاد الحقل لغة التناسق والهدوء أكثر مما أجادها الفلاح.. أعمال العاني تجعل الوقت يمر سريعاً فتثير الشك ي جدوى أن يعيش الإنسان خارج الحقل في تلك الأعمال.

هادي ماهود:

لعبة خطرة، فهي للنقد أشبه بالمنزلق الذي يخطط لإسقاط الناقد في إحالات لا تحتملها اللوحة، لوحة هادي لا تحتمل الإحالة إلى شيء ما خارجها. قد ترى فيها ما يشبه السمكة أو الخشبة أو قصبة من الجنوب، ولكن ذلك هو المطب، فهادي لم يرسم سمكة أوأي شيء آخر خارج حدود قراءته التأملية لتفاصيل العالم.

عمق الأعمال عند هادي وخطورتها تكمن في كونها حزمة آراء فلسفية تسوقها اللوحة إلينا لتبهرنا بمستقبل الفكرة في ذهنه.

أمجد الطيار:

يمتلك ناصية الاكتفاء بما يعجبه من العالم، وأكثر ما يثير أمجد في هذا العالم هو الفن الذي كرس أعماله لتكن فناً خالصاً يتحاور معها المتلقي فيصير الحوار جمالياً أكثر من أي شيء آخر، خلق أمجد لنفسه نقطة توازن بين لغة الفن وبصيرة المتلقي الخارج عن العمل، وبذلك تمهد أعماله لاجتذاب أي منا عندما يقف أمامها لتسحبه إلى عمقها البعيد.



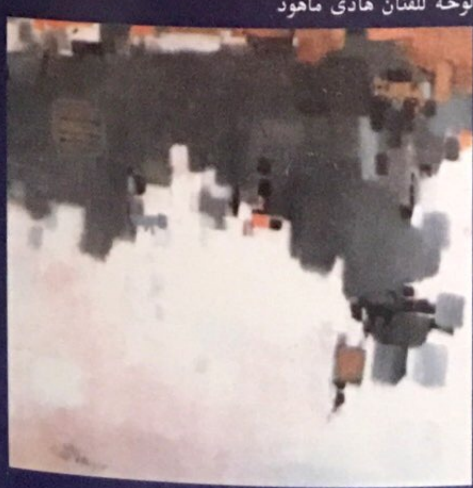
لوحة للفنان أحمد نصيّف



لوحة للفنان فلاح العانى



لوحة للفنان هادى ماهود



لوحة للفنان أمجد طيار

لنرسخ حقنا بالحرية والاستقلال باتفاق وطني شامل

الحق الفلسطيني في الوطن والحرية والاستقلال، راسخ كالجبال، ساطع كالشمس، لا يمكن لأية قوة مهما بلغت أن تحجب هذه الحقيقة عن البشرية، التي بدأ العديد من شعوبها يتلمس مخاطر الكيان الصهيوني، وارتباطاته مع المحافظين الجدد على مستقبل الإنسانية والسلام العالمي، فالمجازر الوحشية وعمليات القتل والتدمير والاقتلاع والاعتقال والاغتيالات تلقى استنكاراً و استهجاناً واستغرابا من كل من يملك إرادة حرة.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة التي أصبحت أحد أبرز معالم الصورة لما يجري فوق أرضنا من فظائع ومجازر وجرائم ضد الإنسانية، تستدعي أن نكون كحركة وطنية بمستوى تطلعات شعبنا وأمانيه المشروعة في الحرية والاستقلال.

وهذا يستدعي أولاً أن نحدد بشكل دقيق وعلمي بعيداً عن الانفعالات السياسية الذرائعية الفصائلية الضيقة، كل عوامل وعناصر القوة والفعل الوطني المؤثر على المستوى المحلي والدولي، انطلاقاً من حقيقة أننا كشعب وكثورة، حملة راية المحبة والسلام في مواجهة راية الحقد والكراهية والقتل والاستئصال والتدمير التي يحمل لواءها الصهاينة، وجرائمهم المروعة في أرض القدس، والتي تحطمت على أبوابها كل الغزوات.

فسياسياً، يجب أن نحسن طرح قضيتنا وتوجهاتنا المرحلية والاستراتيجية بتوحيد الموقف الوطني والإسلامي على مثل تلك الأسس باعتبارها قواسم الحد الأدنى الوطنية المشتركة والضرورية لتجنيب شعبنا مزيدا من الانتكاسات والخسائر، وسنتمكن من تحقيق هذا المطلب من خلال تجديدنا لسياسة وطنية واقعية، وامتلاكنا لخيارات محددة لكل عناصر الفعل الوطني في هذه المرحلة التاريخية الحساسة والحاسمة من نضالنا الوطني، والتي تحيك به المخاطر من كل حدب وصوب، ارتباطاً بالظروف الإقليمية والدولية التي تتميز بتفرد أمريكي لا نظير له في مستقبل البشرية، بالترابط الوثيق مع الأيديولوجية الصهيونية، والتي أفرزت نظرة واحدة لإعادة ترتيب المنطقة سياسياً واقتصادياً وثقافياً وفكرياً لمصلحة خدمة المصالح والأفكار الصهيونية، وإحكام السيطرة على عالمنا العربي.

ومن هنا فنحن مدعوون لحوار وطني شامل ومسؤول وشفاف وواقعي وموضوعي، يأخذ كل العوامل والوقائع المحيطة بنضالنا الوطني بعين الاعتبار، لنتمكن من اشتقاق سياسة وطنية جامعة قادرة على وضع حد لسياسة التفرد والعبث والاستخدام المصلحي للحوارات الوطنية، والتي سيطرت لفترة طويلة من الزمن على ساحتنا الوطنية، ولنضع حداً لسياسة الخلاف والاختلاف والانصياع أحياناً كثيرة للشروط والاملاءات الخارجية، أملاً في الحصول على مكاسب سياسية موهومة، في ظل غياب وتغييب للمصلحة الوطنية العليا التي طالما تغنينا بها.

ونحن في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ونحن على أبواب الذكرى السادسة والثلاثين لانطلاقتنا، ووفاء منا للشهداء والقيم النبيلة التي قامت عليها ثورتنا، نؤكد على ضرورة:-

١- الخروج بموقف وطني موحد وجامع من الحوار، بما يؤمن لنا تشكيل مرجعية وطنية مؤتمنة على قضيتنا وثوابتنا الوطنية.

٢- الإقلاع عن سياسة المراوغة والاستخدام للحوارات، لمصلحة اشتقاق استراتيجية وطنية كفاحية، قادرة على عزل شارون وحكومته، وتبيان حقيقة وجوهر نضالنا الوطني المشروع.

٣- الشروع الجدي في إصلاح كافة الأجهزة والمؤسسات الفلسطينية، وعلى رأسها م.ت.ف. والاحتكام لدستور عصري يؤمن مشاركة وطنية وشعبية أكبر لمختلف ألوان الطيف السياسي الفلسطيني، من خلال اعتماد قاعدة ومبدأ التمثيل النسبي في عملية الإصلاح الشاملة.

٤- الالتزام بتجديد رزنامة وطنية لمواعيد إجراء هذه الإصلاحات، والإقلاع عن التذرع بالاحتلال وإجراءاته لتبرير عدم شروعنا في إجراء عملية الإصلاح الشاملة والجذرية، والتي تضع حداً للسياسات الخاطئة فلسطينياً على كل المستويات.

وأملنا كبير من قدرة مختلف القوى الفلسطينية من تبصر الأفاق الرحبة التي سيفتحها اتفاق وطني شامل على مختلف الصعد، بما يعزز من آفاق إعادة الاعتبار لمركزية قضيتنا وقدرتها على اجتذاب كل مناصري الحق والعدل والسلام والأمن والاستقرار في العالم، وبذلك نمهد الطريق لإمكانية هزيمة إسرائيل ومشاريعها ومخططاتها العدوانية.

AL-HADAF
الهدف
سياسية عربية. شهرية

٥ كانون أول (ديسمبر) - ٢٠٠٣ - العدد - ١٣٤٨ - السنة الخامسة والثلاثون
الثمن ٢٠ ل.

AL-HADAF- No.1348 - December - 2003



أسسها
عام ١٩٦٩
الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير: **جواد عقل**

سكرتير التحرير: **أحمد. م. جابر**

المدير الفني: **زهدي العدوي**

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل	الجزائر ١٥ دينارا	المغرب ١١ درهم
سوريا ٢٠ ل.س	ليبيا دينار واحد	أمريكا وكندا ٣ دولار
الأردن ٥٠٠ فلس	تونس ١.٢٥ د.ت	ألمانيا ٥ ماركات
العراق ٥٠٠ د.ع	صنعاء ١٥ ريالا	إسبانيا ٣٠٠ بيزيته
الإمارات ١٠ دراهم	السودان ٦ جنيهات	

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س - لبنان والأردن ٣٠ دولار
- بقية الدول العربية ٥٠ دولار

يتم الاشتراك بارسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي
(أو نصف السنوي) باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
بنك بيروت والبلاد العربية - شتورا - لبنان
رقم الحساب:
(AC.No.0013-373179-001)
أو بارسال شيك بنكي باسم رئيس التحرير
دمشق / ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب:

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢ - هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧ - فاكس: ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠ - عمان: ٦٩٦٣٤٠ - الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: تليفاكس ٧٧٨٢٦٩٠ - صنعاء: ٢٠٥٨٤٩
الموقع الرسمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الإنترنت:
بالانكليزية: http://www.pflp-pal.org
بالعربية: http://www.pflp-palestine.org
الهدف على الانترنت: http://www.alhadafmagazine.com
البريد الالكتروني: alhadaf@mail.sy

التوزيع

* التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية لتوزيع المطبوعات
* التوزيع في المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف

كلمة

حدثان يستحوذان الاهتمام: إطلاق ما بات يعرف باسم «وثيقة جنيف للسلام» في الأول من ديسمبر، ملف جديد يضاف إلى ملفات ومحاولات إهدار حقوق الشعب الفلسطيني، على يد حفنة ممن يدعون أنهم يمثلون هذا الشعب لينطقوا باسمه متخلين عن أهم حقوقه العادلة التي ضحى من أجلها وما يزال، حق العودة وحق إقامة الدولة المستقلة السيدة على ترابها وسمائها ومائها.

وما يدعو للسخرية والمرارة في آن أن هؤلاء المارقين على كفاح الشعب لا يعدمون منطقا ولو تافها في محاولة تبرير أفعالهم مدعين أنهم ينطلقون من مصالح الشعب وأن الشعب تعب وأن الحقوق العادلة لا يمكن أن تعود على طاولة المفاوضات وأن استرجاعها يتطلب حربا لا تبقي ولا تذر على حد تعبير أحد فرسان جنيف السيد قدورة فارس. وكلامه فيه الكثير من الصحة إذا كان التفاوض يجري على طريقته هو ومن معه من عرابي أوسلو سيء الصيت والسمعة، لأن مفاوضين من هذا النوع لا يمكن أن يعودوا للشعب الفلسطيني إلا بمزيد من الخسارة وإهدار التضحيات والوقت. أما عن الحرب التي لا تبقي ولا تذر فليتركها السيد فارس لأهلها ممن نذروا أنفسهم لحرية الشعب وسعادته. ثم من قال أن الحرب التي يشنها عدونا هي من نوع الحروب التي تبقي أو تذر؟ أليست حرب ابادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى نترك الإجابة للسيد فارس؟؟.

الحدث الثاني هو الحوار الوطني الفلسطيني الذي تحضره كل القوى الفلسطينية. والرسالة التي يمكن أن نوجهها للمجتمعين في القاهرة هي ببساطة الالتفات نهائيا لمصالح الشعب والالتزام بجدول أعمال الانتفاضة، دون أن تكون الهدنة هي الأساس في هذا الحوار والهدف منه والأهم منها هو الخروج من القاهرة موحدين قادرين على لملمة طاقات شعبنا للمضي قدما في الانتفاضة حتى تحقيق الحقوق الوطنية لشعبنا مما يتطلب من المجتمعين الإعلان الواضح والحازم عن رفض وثيقة جنيف وكل المشاريع التي تفرط بحقوق الشعب.

أ. ج

فـي هـذا العـدد

موضوع الغلاف:



حفل تأبيني للشهيد المناضل
صابر محي الدين في دمشق وعمان





مشروع
النهضة

.... ورقة
للحوار!

٣٤



قنبلة
صنع الله إبراهيم
تأثيرات واسعة
وأفعال
محدودة

٤٣

الحدث

بوش يسقط في مستنقع العراق والصحوة العالمية

جواد عقل

بوش يزور عاصمة الرشيد خلسة في محاولة مكشوفة لرفع معنويات جنوده، التي بدأت علامات التعب والإعياء بادية عليها، بفعل عوامل متعددة أبرزها مقاومة الشعب العراقي المتعددة الأشكال لهذا الاحتلال وممارساته، وتكشف حقيقة وأبعاد المغامرة العسكرية الأمريكية، وانكشاف لعبة السياسيين الأمريكيين وأكاذيبهم؛ والتي رافقت الإعداد لهذه الحملة والتي أذهلت العالم ولاقت استهجاناً واستغراباً وإدانة من أغلب شعوب الأرض.

هذه الزيارة من غير المتوقع أن تنقذ بوش وفريقه، لأن البشرية تكشفت لديها حقائق ومعطيات جديدة جعلت من هذا السلوك مصدر خطر وتهديد للأمن والاستقرار العالمي، تماماً عكس ما روجت له دوائر البنتاجون وصقور الإدارة الأمريكية، ولن تساعده في معركته الانتخابية، لأن الأمريكيين بدأوا يكتشفون حجم الخديعة والتضليل، والثمن الباهظ لهذه المغامرة، فالتوابيت بدأت تصل مختلف الولايات يومياً، وكذلك زيادة الأعباء الاقتصادية، كلها معطيات ستجعل من الزيارة، بكل ما رافقها من سرية وامتهان لكرامة وسيادة العراق، عبئاً جديداً سيضاف إلى أعباء الاحتلال الأمريكي للعراق.

فالمغامرة الأمريكية في العراق أريد لها أن تضع اللبنات الأولى لنظام شرق أوسطي تابع للولايات المتحدة ومخططاتها وأطماعها، المتماثلة مع حلم أصدقائهم الصهاينة في تحقيق إنجازات على الأرض لمصلحة المشروع الصهيوني وأطماعه، في وقت عجزت كل الآلة العسكرية الإسرائيلية وجرائمها عن تحقيق مثل هذا الهدف، لكن حساب الحقل لم يكن قط متوافقاً مع حصاد البيدر. فالمستنقع الذي أدخل الأمريكيون أنفسهم فيه، والمأزق الذي ولجت إليه إدارة بوش بفعل الاستراتيجية العدوانية والعنصرية والفاشية للمحافظين الجدد أوقع أمريكيا وقواتها في المستنقع العراقي، وبدأت علامات الصحوة تتبدى من خلال التحولات الحقيقية في الرأي العام الأوروبي ضد هذه النزعات التي تهدد مستقبل البشرية ومنجزتها بأفدح الأخطار. فلقد أعلن البريطانيون حلفاء الإدارة الأمريكية للملأ، رفضهم لسياسة بلير الذيلية، ومناهضتهم لبوش وسياساته الخارجية، خاصة مغامرته بغزو العراق، حيث فتحت النار عليه من كل حدب وصوب، وعززت من قدرات وإمكانات الاتجاهات المغامرة لتعزيز ضرباتها للأمريكيين وحلفائهم من بولونيين وإيطاليين وبريطانيين.

وتساهم تلك المغامرة العسكرية وممارسات الجنود الأمريكيين على الأرض، ضد الشعب العراقي، وفشل الإدارة الأمريكية في تحقيق أية إنجازات على الأرض، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو أمنية. بتعاظم فعل المقاومة وضرباتها، والتي بدات تشكك في مصداقية الإدارة الأمريكية، والتي أدت إلى تراجع حلفاء أمريكا عن المشاركة في تحمل مسؤولية أعباء احتلال العراق.

فالمشهد الدولي وتطوراته تلقى مزيداً من الشك حول مخاطر وأبعاد ومرامي الاستراتيجية الأمريكية التي خطط لها منظرو ومفكرو ما يسمى بتيار المحافظين الجدد، تحت يافطة محاربة الإرهاب، والذي مهد له بنظريات تبدأ عن الحديث عن صراع الحضارات، وضرورة بسط الثقافة الأمريكية على البشرية، وبشكل رئيسي على العالمين العربي والإسلامي، بوصفهما مصدر الخطر على الولايات المتحدة والبشرية، لأنها من أكبر مصدري الإرهاب في العالم، وجاءت أحداث ١١ سبتمبر لتسرع من قدرة هذا الجناح المتنفذ في الإدارة الأمريكية، والمتحالف مع اليمين الفاشي الصهيوني على وضع رزنامته للهيمنة على البشرية، وبطريقة تعيد إلى الأذهان الصور المأساوية والوحشية لممارسات البيض من أمريكا ضد السكان الأصليين والسود .

فقد وجد هؤلاء السياسيين والمفكرين ضالتهم حينما اكتشفوا أن البشرية جمعاء تعاطفت وتضامنت مع الولايات المتحدة، ونعني بذلك مع الأبرياء الذين سقطوا ضحية هذا العمل، وأدانت بشكل واضح الأعمال الإرهابية التي تتعرض للمدنيين الأبرياء، وطالبت بضرورة إيجاد حلول قادرة على تخليص البشرية ومجتمعاتهم من شرور مثل تلك الأعمال، من خلال مشاركة دولية واسعة في بحث أسباب ودوافع هذا الإرهاب، باعتبار أن الحدث بحد ذاته هو نتيجة لظلم واضطهاد وغياب الديمقراطية والشفافية في العلاقات الدولية وانعكاساتها السلبية على شعوب العالم الثالث، التي مازالت ترزح تحت نير الفقر والجهل والمرض والاضطهاد المحلي والدولي، في ظل استمرار سياسة الهيمنة والسيطرة للدول الصناعية على البشرية. والدعوة إلى تعزيز العلاقات الدولية وتعزيز دور المنظمات الإقليمية في البحث عن أنجع الطرق والأساليب لمواجهة الأوضاع المتردية لدى غالبية شعوب الأرض، وتعزيز دور الأمم المتحدة ومنظماتها لأداء دور مركزي في

انة السلم والأمن والاستقرار.

لكن إدارة بوش التي يحكمها الصقور وحملة لواء العنصرية دقوا طبول الحرب، وأعلنوها على الإرهاب وأطلقوا لأنفسهم العنان لتهديد البشرية وشعوبها بحرب دائمة ومستمرة واستباقية للقضاء على عدو هلامي غير واضح المعالم، بدلا من مشاركة البشرية في تحديد علمي دقيق للإرهاب. شنت الإدارة هجوما على المناضلين من أجل الحرية، وعلى حركة التحرر الوطني الفلسطيني بشكل رئيسي وأجبرت أوروبا والعديد من الدول السائرة في فلكها إلى اعتبار فصائل العمل الوطني الفلسطيني فصائل إرهابية، في الوقت الذي تدرك فيه أن هذه الفصائل تقاتل أشرس وأعتى عدو عرفته البشرية، المدعوم من طرف هذه الإدارة الفالتة من عقالها والذاهبة بالعالم إلى مصير مجهول.

الأمريكيون ابتهجوا لمغامراتهم وإجراءاتهم، والتي ضربت بشكل دراماتيكي بأبسط قواعد القانون الدولي وحقوق الإنسان، وبرروا هذا الجنوح نحو المكارثية بالظروف التي خلفتها أحداث ١١ سبتمبر. وروعوا شعبهم وبقية شعوب العالم بهذه الإجراءات، حيث على العكس مما ظنوا، زادت الأعمال الانتقامية ضد الأمريكيين ومن يناصرهم، وتعاظم العداء للإدارة الأمريكية في شتى بقاع الأرض. ارتباطا بالمناخات التي ولدتها مغامراتهم العسكرية وتهديداتهم، وضغطهم على العديد من الدول، بما في ذلك أصدقاءهم وأكثر حلفاءهم قربا. فمناخات الإحباط التي ولدها الشعور العالي والمكثف للغطرسة والقوة، وإدارة الظهر للأعراف والمواثيق الدولية، والتنكر حتى للمعاهدات والاتفاقيات التي وقعتها الإدارات السابقة مع روسيا. والإفراط في العداء للشعوب، وتطلعاتها، وتنصيب الإدارة نفسها الحاكم الفعلي للبشرية، المدعي والقاضي والجلاد. خلق أجواء ساهمت وساعدت إلى حد بعيد في تنامي العداء للإدارة الأمريكية، وحلفائها، فمن أحداث بالي مرورا بالمقاومة المتعددة والمتنوعة للوجود الأمريكي في العراق وأفغانستان، مرورا بتركيا، ولوجا إلى إزالة النصب التذكاري لبوش أثناء زيارته إلى لندن، وما رافق تلك الزيارة من مظاهرات غضب وتنديد عارمة عمت بريطانيا، إعلانا واضحا برفض السياسة الهوجاء لصقور الإدارة الأمريكية ولحلفاء الإدارة الصغار أمثال بلير وبرلسكوني وأزنار، الذين لا تغفر لهم شعوبهم انجرارهم إلى مغامرة الحرب الأمريكية وكل ما رافقها من سياسة تضليل إعلامي وسياسي حول امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل. ورغم انفضاح ما اقترفوه جميعا بحق العراق والإنسانية، مازال معسكر بوش يحاول الافتراء على سوريا وإيران، وسوق نفس التبريرات التي تساعدهم على خوض المزيد من المغامرات العسكرية لليانكي الجديد الذي يريد بالقوة وبالإملاء فرض الثقافة الأمريكية على البشرية.

فشعوب المنطقة رغم ما أصاب مؤسساتها الإقليمية والرسمية من وهن وضعف وهوان، إلا أنها أكدت أن الشعوب حية ومؤهلة للمقاومة، من خلال تصعيدها وتنويعها وقدرتها على إصابة القوات الأمريكية الغازية وحلفائها الإسرائيلية، إصابات مؤثرة وموجعة تجعل من استمرار الاحتلال والعدوان والاغتصاب أمرا مدفوع الثمن غاليا من دماء جنودهم وميزانياتهم ومن دافعي الضرائب، بالإضافة إلى الأبعاد الأخلاقية والإنسانية للأعمال والمجازر التي ترتكب في العراق وفلسطين باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، التي تمتهن في كل ثانية ودقيقة من قبل القوات الأمريكية والإسرائيلية.

فحرية الشعوب وديمقراطيتها لا تقدم منة من أحد، وإنما تنتزعها الشعوب بنضالها وكفاحها ضد الطغاة أيا كانوا، من أبناء البلد أم محتلين.

فالحراك الشعبي والرسمي العالمي وتفاعلات المقاومة وآثارها على المجتمع الأمريكي ستزيد من مأزق إدارة بوش، وستكشف عن عقم وعبثية وعدم جدوى السياسات التي تريد فرض الهيمنة بالقوة على الشعوب ومقدراتها، والصراع بدل الحوار هو الأجدى لصياغة مستقبل أفضل للبشرية، لذلك فإن المستنقع العراقي الذي أضحى قدر قوات التحالف، وعلى رأسها القوات الأمريكية التي ستدفع ثمن اغتصابها لأرض الرافدين، واستباحة ثرواته ومواطنيه، وأحد النتائج الطبيعية للسياسة المغامرة التي يمارسها غلاة المحافظين الجدد أمثال رامسفيلد وبولفوفيز وغيرهم الذين لم يتورعوا عن دق طبول الحرب، وتدمير كل ماهو إنساني وحضاري في العراق، كمقدمة ضرورية لاستباحة المنطقة وفرض استراتيجيهتم خدمة لأهداف الصهيونية ومطامعها. وبالتالي فإن قوى حركة التحرر الوطني العربية مدعوة لصياغة برنامج نهضوي ديمقراطي قادر على تفعيل كل العناصر الايجابية في الأمة لمصلحة صياغة مستقبل مشرق للأمة، بالترابط مع إيجاد أشكال كفاحية تمكن الشعبين الفلسطيني والعراقي من إلحاق الهزيمة بإسرائيل وأمريكا، وتمهد الطريق لنجاح أي مشروع نهضوي ديمقراطي عربي يساهم مع باقي شعوب الأرض والبشرية في إقامة نظام دولي قائم على أساس العدل والمساواة والأمن والسلم، وستساهم كل شعوب العالم وحكوماتها الحرة في هذا التوجه العالمي الذي يريد أن يضع حداً لسياسة التهديد والتدخل الخارجي السافر، والعدوان والإرهاب، بصياغة منظومة من العلاقات والمواثيق تساهم في وضع حد للفقر والمرض والظلم، والعلاقات الغير متكافئة تطويرا وصيانة للقيم والمبادىء الإنسانية التي دفعت الإنسانية ثمناً غاليا لترسيخها. فالتقدم للأمام لتطوير هذه المبادىء والقيم لن يكتب له النجاح إذا لم تفلح البشرية في وقف سياسة العدوان والغطرسة والاملاءات الأمريكية على البشرية، وشعوبها وحكوماتها ومنظماتها الدولية، ولعل ما واجهه بوش في بريطانيا مؤشر لمدى الانحدار الأخلاقي الذي وصلت إليه إدارته، ومناهضة الشعوب وإدانتها لسياساته وانعكاساتها السلبية على مستقبل البشرية.



مجدلاوي يجيب على أسئلة الهدف

النظام السياسي الفلسطيني بعد الرئيس الفلسطيني عرفات إلى أين؟

حاوره في غزة: عبد الرحيم الريماوي

من الصعب الحديث عن نظام سياسي إذا لم يكن النظام السياسي «دولة مستقلة وذات سيادة» فالفلسطينيون لديهم سلطة فلسطينية، وهذه السلطة ليس لها سيادة على الأرض، وليست مستقلة، وتعيش الآن تحت الاحتلال، فلم يعد هناك وجود للسلطة الفلسطينية إلا شكليا ونظريا، فالنظام السياسي الفلسطيني متشابك ما بين منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، فمنظمة التحرير لها مؤسساتها، المجلس الوطني والمجلس المركزي واللجنة التنفيذية التي يرأسها عرفات.

ففي عام ١٩٩٦ أعيد انتخاب الرئيس عرفات للجنة التنفيذية، والقانون الأساسي للمنظمة يقول أن أي غياب للرئيس تجتمع اللجنة التنفيذية وتنتخب رئيساً، ولكن اللجنة التنفيذية اليوم تعيش حالة مهترئة بسبب الاعتقالات الإسرائيلية لبعض أعضائها، هذا أولا، وثانيا مضى على انتخاب اللجنة التنفيذية أكثر من سبع سنوات وحسب النظام الأساسي للمنظمة مطلوب إجراء مفاوضات كل ثلاث سنوات لتجديد اللجنة التنفيذية من قبل المجلس الوطني الفلسطيني.

الهدف حاورت الرفيق جميل مجدلاوي عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول العناوين السابقة، وهنا نص الحوار:

الهدف حاورت قادة فلسطينيين حول نفس الموضوع والنصوص منشورة في موقعنا على الانترنت



الهدف: غياب المأسسة وغياب المؤسسات المختلفة لبناء النظام السياسي الفلسطيني يشعر أو يشير للكثيرين إلى خطورة ما هو قائم، خاصة وأن طبيعة النظام ترتكز على التفرد وعدم إشراك الآخرين، ما هي المخاطر برأيكم بهذا الموضوع وكيف السبيل للخروج مما هو قائم؟

المجدلاوي: أزمة الحالة الفلسطينية تتمثل في بعدين، البعد السياسي والبعد التنظيمي أو المؤسسة، فالبعد السياسي، منذ اتفاقيات أوسلو دخلت الساحة الفلسطينية في أزمة حقيقية، لأنه لم يكن ممكنا على أساس الاتفاقيات أن يتم الوصول الى حل يكفل ويحقق الحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية، الاتفاقيات أعطت العدو الإسرائيلي الفرصة الكبيرة بأن يكون له دور هام ورئيسي وحاسم في صياغة الشأن الفلسطيني الداخلي، فالاتفاقيات سمحت للعدو الإسرائيلي بأن يسيطر على الاقتصاد والمعابر والحدود والشواطئ، وحتى على المياه الموجودة في باطن الأرض، وسلطات الاحتلال تتحكم في الحركة داخل مناطق السلطة الفلسطينية، فالعدو الإسرائيلي يعتقد انه صاحب اليد الطولى في تقرير الشان الفلسطيني الداخلي، ولم يكن بالإمكان في اتفاقيات أوسلو والالتزام بها، تحديد أهداف سياسية تستجيب للحد الأدنى من الحقوق الوطنية، ولا بناء مؤسسة يمكن أن تشكل رافعة وعامل مساعد لتحقيق الأهداف الفلسطينية، فالمخرج من هذه الأزمة هو مغادرة هذه النظم السياسية والنظم التنظيمية، الجبهة الشعبية دعت لإجراء حوار وطني شامل لمناقشة كل الشأن الوطني الفلسطيني، والوصول الى برنامج القواسم المشتركة، وعلى أساسه يتم تشكيل القيادة الوطنية الموحدة، لتشكل المرجعية العليا للشعب الفلسطيني، ومن مهام القيادة الوطنية الموحدة «قيادة الشعب لمواجهة الاحتلال» والإعداد وتهيئة الشعب الفلسطيني من مهام القيادة الوطنية الموحدة» قيادة الشعب لمواجهة الاحتلال، والإعداد وتهيئة الشعب لإجراء الانتخابات الديمقراطية الشاملة والدخول الفعلي في هذه الانتخابات بهدف إعادة ترتيب المؤسسات الفلسطينية على أساس الانتخابات المستندة الى مبدأ التمثيل النسبي وقانون ديمقراطي عصري، وعبره يستطيع الشعب بناء المؤسسات على أسس وطنية وديمقراطية «قانون التمثيل النسبي» يكفل للشعب الفلسطيني التعددية السياسية والحزبية التي تحول المجتمع الى مجتمع إيجابي يتم إثرائه بالتجربة الانتخابية والديمقراطية لتكون تجربة متقدمة، وعبرها يتم حشد كل طاقات الشعب الفلسطيني مستندين الى المؤسسة التي تضم كل الوان الطيف الفكري والسياسي والتنظيمي.

الهدف: مرض الرئيس ياسر عرفات خلق لدى الكثيرين، خاصة أنه المتحكم الرئيس بالأبعاد المختلفة للنظام السياسي الفلسطيني، سؤال، ماذا بعد ياسر عرفات ؟

المجدلاوي: استشهد بقول الرئيس ياسر عرفات نفسه يردده دائماً، أن الشعب الفلسطيني

أكبر وأعظم من كل قياداته، وقادر على تقديم قيادات تستطيع أن تتقدم صفوف النضال من أجل تحرير الأرض ونيل كامل الحقوق الوطنية الفلسطينية.

الهدف: غياب المأسسة وسلطة الفرد تدعو للتساؤل عن دور القوى والمنظمات المختلفة التي لها علاقة بالعمل الوطني الفلسطيني، لماذا أهملت هذه القوى برأيكم متابعة هذا الموضوع، وهل من مخاطر للحديث فيه بوجود أبو عمار وهل يعتبر الحديث عن توزيع الصلاحيات درب من دروب سحب الصلاحيات من الرئيس؟

المجدلاوي: كل ما يمكن أن يسمى توزيع الصلاحيات وإعادة النظر بالاختصاصات الموجودة في إطار النظام القائم، هذه معالجات قاصرة وعاجزة، وفي كل الأحوال ستعيد إنتاج ذات الأزمة، الأزمة تتمثل بالنظام السياسي بكامله الذي يقوم على أساس الهيمنة والتفرد، فلا يمكن لمثل هذا النظام إلا أن يعيد إنتاج نفسه وإنتاج أزمته بأسماء وأشكال جديدة، القوى الوطنية الفلسطينية ليست غائبة فهي موجودة وتناضل وتراكم إنجازات، وهذه المراكمات ليست بالوتائر المطلوبة وهناك تخلف كبير في الحالة السياسية الفلسطينيةعموما، لا أحد يستطيع أن يتجاهل العوامل الإقليمية والدولية وتأثيراتها السلبية على الوضع الفلسطيني، ولكن لا يمكن تحويل هذه العوامل الى ذرائع نعلق عليها أخطاء الجبهة الشعبية، ونواقص عليها، ولا أخطاء القوى السياسية الأخرى في العمل الفلسطيني، هناك أمور وقضايا كثيرة تحتاج إلى مراجعة عند جميع القوى الفلسطينية، من أجل حشد قوى اجتماعية تستطيع ان تؤثر تدريجيا في ميزان الوضع الفلسطيني الداخلي، وتقلل من الآثار الضارة للعوامل الخارجية التي تفعل فعلا سلبيا في الوضع الفلسطيني الداخلي، فالمراجعة الفلسطينية الشاملة مطلوبة، الجبهة الشعبية حاولت أن تقوم بمثل هذه المراجعات والمؤتمر السادس للجبهة شاهد على هذه المراجعات ولكن النتائج أقل بكثير من طموح الجبهة الشعبية، وأقل مما تنتظره الجماهير الفلسطينية.

الهدف: كيف يمكن التعامل مع موضوع بهذه الحساسية بضوء الحديث عن محاولات إقصاء ياسر عرفات، وكيف يمكن وضع خطوط وحواجز بين الإملاءات الخارجية والضرورات الملحة داخلياً؟

المجدلاوي: مراكمة ميزان قوى اجتماعي فلسطيني يوسع من هوامش الديمقراطية والمشاركة الجماعية في إقرار السياسة ومتابعة تنفيذها للحد من التفرد والهيمنة، يمكن أن يتحقق في ظل وجود عرفات وفي ظل غياب عرفات، فهذا الموضوع نضالي، هي «صيرورة المؤسسة الفلسطينية» فلا يمكن للمؤسسة أن تستقيم إلا إذا واصلت هذه الصيرورة مسارها الذي يقود للنتائج الديمقراطية التي تعيد جميع القوى إلى جماهير الشعب والاحتكام لصندوق الاقتراع.

الهدف: هناك من يتحصن خلف، لنبقي ما هو قائم على حاله لحين انتهاء حالة الرمز، النضال الوطني الفلسطيني، وذلك خوفا من أن تفهم هذه الدعوات بأنها تحريض على فتح ملفات الصراع الداخلي أو ما شابه ؟ وفي المقابل وفي حالة انتهاء حالة الرمز هل هناك مخاطر جدية لنشوب صراع داخلي أو حرب أهلية فلسطينية لانتزاع السلطة؟ وما هو حجم التأثير الخارجي المفترض بهذا الموضوع؟

المجدلاوي: موضوع الرمز بالنسبة للجبهة الشعبية يتمثل في الرمز الكفاحي، وهذا يجسده أبطال المقاومة والأطفال الذين يتصدون للدبابات بصدورهم، ولم يكن بالنسبة للجبهة الشعبية الرئيس عرفات رمزا تعبده، فالرئيس عرفات قائد وطني فلسطيني قاد التجربة الفلسطينية، وتاريخ عرفات هو الذي سيحكم له أو عليه في كل محطات هذه التجربة، كان للجبهة رأي في أداء الرئيس عرفات وطريقة قيادته للثورة وفي كل مرة أعلنت الجبهة الشعبية رأيها وتقييمها لمحطات الكفاح الوطني الفلسطيني،عرفات قائد وطني كبير، قائد للمنظمة والسلطة وهو قائد أول لهذه التجربة، ولكن من الخطأ تحويل هذه القيادة إلى رمزية



لا يمكن العمل خارجها، والجبهة الشعبية تقول أن الشعب الفلسطيني يمر في مرحلة تحرر وطني وديمقراطي، والتحول الديمقراطي يتطلع الى التغيير الفعلي من خلال التوجه إلي المزيد من الديمقراطية والحد من التفرد والهيمنة، الجبهة الشعبية تريد قيادة وطنية موحدة برئاسة عرفات، وعرفات لا يزال الشخص الأول الذي يمكن أن يقود مثل هذه القيادة الموحدة، ولكن ليس في نفس الطريقة والوتائر والأساليب التي اتبعت في منظمة التحرير، فمطلوب إنهاء التفرد من خلال متابعة تنفيذ القرارات الجماعية، فالنتائج السياسية لسياسة التفرد هي نتائج مرة وحصاد مر، ولكن هذا لا يعني أن لا نطوي صفحة هذه المرحلة ونفتح صفحة جديدة، ومن يحاول أن يحدث مطابقة بين المطالبة الفلسطينية بتغيير العلاقات الفلسطينية نحو قيادة جماعية ووطنية موحدة لتحقيق مشاركة الجميع وبين المطالبة الأمريكية الإسرائيلية بتغير القيادة نحو قيادات مطواعة، هذا إنسان مضلل ويهرب من الحقائق، فمثل هذه المفاهيم المغلوطة لا يمكن أن تريك الفلسطينيين بالاستمرار في النضال ببعديه الوطني والديمقراطي.

الهدف: بغض النظر عن ما هو قائم الآن، هل بإمكان الحديث أن الصورة القادمة في المستقبل يمكن أن تحمل أيضا مرحلة الرمز والتحكم الفردي بالأمور أم أنه بالإمكان الحديث عن أخذ عبر، وتوجه نحو رؤية مستقبلية بصيغة قيادة موحدة للعمل الوطني الفلسطيني؟

المجدلاوي: حركة الجماهير الفلسطينية أكبر من أي رمز وأكبر من أية قيادة، هكذا علمنا التاريخ، فالجماهير هي التي تصنع التاريخ، وإذا كان هناك قائد أو رمز أو بطل مرتبط بمصالح الجماهير بقدر ما يستجيب لهذه المصالح ولخدمتها، فالأساس هي حركة الجماهير وفعلها الذي ينسجم مع مصالحها الوطنية والاجتماعية، والقادة تتحدد مكانتهم بقدر استجابتهم للمطالب الجماهيرية.

الهدف أجرت أيضا حوارات حول النظام السياسي الفلسطيني بعد الرئيس الفلسطيني عرفات إلي أين ؟ شارك فيها عضو المجلس التشريعي الفلسطيني حاتم عبد القادر، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني د.عزمي الشعيبي، رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح «المرشح المفترض للرئاسة، د.عبد الستار قاسم رئيس اللجنة السياسية في المجلس الوطني الفلسطيني عبد الله الحوراني.

اتفاقية جنيف تنازل خطير لن يمر

أبو أحمد فؤاد
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

مع اشتداد الهجمة الإمبريالية الصهيونية على أمتنا العربية عموماً، من خلال الاحتلال المباشر للعراق، والتهديد المتواصل ضد سوريا ولبنان، وعلى شعبنا الفلسطيني بشكل خاص، بالتكثيف النوعي للجرائم الصهيونية ضد شعبنا وأرضنا، عبر التدمير المستمر لمؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية، من خلال هدم المنازل واقتلاع المزروعات وإقامة الحواجز وإنشاء الجدار العنصري، تنمو ظاهرة الاستقطاب داخل أمتنا العربية وشعبنا الفلسطيني، بين قطب يتساوق مع الأعداء يمثل شرائح اجتماعية ترتبط مصالحها مع استمرار الوضع القائم، وبين قطب شعبي يعي أن مصلحته في استمرار مقاومة العدو الإمبريالي الصهيوني حتى يتم تغيير بموازين القوى يسمح بأخذ زمام المبادرة في الحراك السياسي في المنطقة.

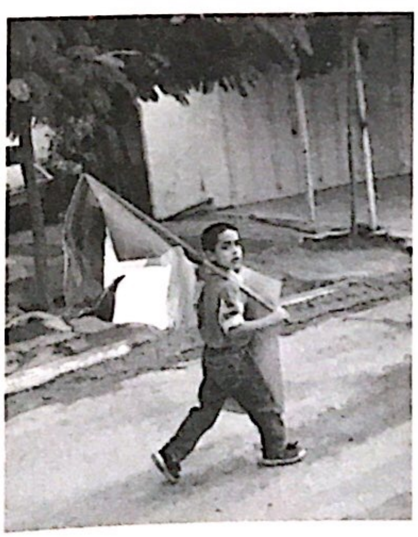
بالرغم من أن الخيار الشعبي على مستوى الأمة العربية والشعب الفلسطيني هو خيار المقاومة الشعبية بكافة أشكالها كما نشاهد في العراق المقاوم أو فلسطين الصمود. فقد خرجت من بين فئات السلطة الفلسطينية مجموعة من الأفراد تدعي تمثيلها لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولشعبنا الفلسطيني، وأعلنت توصلها لحل دائم مع ما يسمى معسكر الحمائم الصهيوني، الذي لا يدعي تمثيل أحد رسميا.

إن أي تدقيق في مسار تلك «الاتفاقيات»، يوضح طبيعتها العبثية وتهميشها لنضال شعبنا الفلسطيني. ففي فترة الانتفاضة المستمرة لشعبنا التي مثلت ردا على عقم اتفاقيات أوسلو وما لحقها، وفترة مجازر جنين والخليل ورفح، وخلال قضم أراضي الضفة الفلسطينية، كانت تلك المجموعة تتنقل بين عواصم الدول الإمبريالية، وخاصة لندن وواشنطن، موفرة ورقة التوت لجزاري الشعب العراقي المقاوم، باسم البحث عن حل دائم لصراعنا مع أعداء شعبنا وأمتنا.

إن أي قراءة للاتفاقية يظهر بوضوح استهتار الفئة التي تدعي تمثيل الشعب الفلسطيني لحقائق الصراع بين الشعب الفلسطيني وبين العدو الصهيوني. فالحديث عن شعب يهودي هو أولا إقرار بجوهر الفكر الصهيوني المرفوض حتى من العديد من القوى اليهودية، وثانيا هو ضربة لنضالات شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨، التي تربط كافة اتجاهاته، النضال الوطني بالنضال المطلبي وحقوقهم القومية وحق تقرير المصير.

أما الحديث عن أن الاتفاقية تنهي كافة المطالب السابقة فهذا ينافي القانون الدولي، الذي يعترف بأن بعض الحقوق ثابتة لا تتقادم، ومنها حق عودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها.

بالرغم من معاهدات الاستسلام الموقعة بين بعض الأنظمة العربية والكيان الصهيوني، فلم يفلح العدو بتطبيع علاقته مع شعوب تلك الأنظمة، لذلك فقد تبرع أصحاب اتفاق جنيف أن يصبح الكيان الفلسطيني ذو السيادة المحدودة العبارة، التي تسهل تغلغل النفوذ الصهيوني لوطننا العربي. إضافة لذلك فقد بلغ استهتار الفريق الذي يدعي تمثيل الشعب الفلسطيني تبنيه صياغات مرفوضة حتى من بعض الدول المرتبطة باتفاقيات سلام مع الكيان الصهيوني، فالحديث عن إقامة شرق أوسط آمن ومستقر، يثبت رؤية شمعون بيريز الشرق أوسطية سيئة الصيت المتعارضة مع مشروع التكامل الإقليمي العربي المعمول به في اتفاقيات الجامعة العربية. كما أن الحديث عن الأحلاف العسكرية يحرم الدولة الفلسطينية الوليدة من الانضمام إلى معاهدة الدفاع العربي المشترك. أما الحديث عن التعاون الأمني بين الدولتين ما هو إلا تثبيت للسيطرة الأمنية الصهيونية على فلسطين، لأن التعاون الأمني لا يمكن أن يكون متكافئ إلا بتكافؤ موازين القوى.



إن طبيعة الكيان الصهيوني كتجميع لإثنيات عديدة من أصقاع الأرض تفرض على المجتمع شكل من حرية التعبير يتضمن التحريض والعنصرية بما فيها التحريض الديني. أما النص المتعلق بالتحريض في الاتفاقية المهزلة فهو يهدف إلى منع الفلسطيني حتى من أن يحلم أو أن يغني ليافا وحيفا وبيسان.

لم يكتف الفريق الفلسطيني بانتقاص السيادة الوطنية، فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية، بل وافق أيضا على وجود قوات أجنبية على أراضي الدولة العتيدة لحماية أمن الكيان الصهيوني.

لقد أثبتت تجارب شعبنا أن محاولة تحقيق أهدافنا الوطنية المرحلية بتحقيق الدولة الوطنية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس وإخلاء قطعان المستوطنين من أرضنا وعودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها غير ممكن في ظل موازين القوى الحالية. فبالرغم من جميع التنازلات والمساومات على الثوابت الفلسطينية، خاصة في فترة اتفاقيات أوسلو وما بعدها، رفض العدو الصهيوني حتى أن يبطئ من برنامجه الاستيطاني، وبغض النظر عن من في الحكم يمين أو «يسار». لذلك فإن القبول بفترات زمنية لا يعني إلا إعطاء العدو فرصة لقضم المزيد من الأراضي والممتلكات. إضافة لذلك فقد وقع فريق عبد ربه على انتقاص السيادة الفلسطينية فيما يتعلق بالأجواء والمعابر.



أما بالنسبة للقدس عاصمة الدولة الفلسطينية فقد وافق المتنازلون على الاعتراف بالحقائق المفروضة ميدانيا من قبل العدو الصهيوني والمرفوضة والمدانة حسب قوانين الشرعية الدولية التي ترفض أي تغير هيكلي بالنسبة للأراضي الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي، وهذا وضع القدس العربية رسميا حتى يومنا هذا، وحتى بالنسبة لعدونا الإمبريالي، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن أخطر ما في وثيقة التنازل ما هو متعلق بموضوع اللاجئين. فإن أقل ما يمكن أن توصف به النتائج المفروضة إسرائيليا. أنها تشرع التوطين الإجباري لشعبنا في دول اللجوء، وتحول حق العودة من حق سياسي معترف به دوليا إلى منة إنسانية. قد يقدمها كيان العدو لبعض الحالات للاستهلاك الإعلامي. إضافة لذلك فهو يسقط المطالب المستقبلية لأي فلسطيني بالرغم من معرفة الفريق المتنازل أن الصهاينة لا زالوا يبتزون المجتمع الإنساني لأمور قد تكون قد حدثت قبل منتصف القرن الماضي.

إن صراعنا مع العدو الصهيوني هو اشتباك تاريخي مفتوح، أي تناقض تناحري لا يحسم إلا بالقضاء على مسبباته، وهي وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين كرأس حربة للإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، للسيطرة على وطننا العربي ومنعه من التقدم والوحدة الضرورية لتقدمه. في ظل ظرف التجزئة الموضوعي الناتج عن اتفاقيات سايكس بيكو في القرن الماضي وبروز الدول والهويات القطرية، وبعد انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة. وتحديدا بعد حرب ١٩٧٣، تم طرح البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لعموم شعبنا الفلسطيني في فلسطين والشتات، المتضمن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس، وعودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها. إن إقرار برنامج الإجماع الوطني الفلسطيني كان إقرارا لبرنامج مرحلي لا ينهي الصراع مع الكيان الصهيوني بل يبرمجه، وكان من الواضح أن قضية اللاجئين - وليس مشكلتهم كما هو منصوص عليه في الاتفاقية سيئة الصيت - هي الحاضنة لاستمرار الاشتباك المفتوح مع الكيان الصهيوني.

لقد أثبت تاريخ نضال شعبنا أن التنازلات المقدمة من قبل القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية لم تؤدِ إلى تحقيق أي من الحقوق، وأنه بالرغم من التنازل لم يقبل العدو الصهيوني قط إيقاف مشروعه الاستيطاني. ففي ظل مفاوضات أوسلو وكامب ديفيد في عهد الجنرالين رابين وباراك تزايد الاستيطان ومصادرة الأراضي ولم تؤدِ تلك المفاوضات العقيمة إلا لتجميل صورة الكيان الصهيوني عند الرأي العام العالمي وتسويق علاقات هذا الكيان العنصري مع العديد من الدول بما فيها العربية.

لقد أدرك شعبنا تلك الحقيقة كما أدركته القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية عندما رفضت اللاشيء المعروض في واي ريفر. وقد أدى ذلك إلى توحيد قوى شعبنا في تفجير انتفاضته الجبارة التي مازالت مستمرة منذ أكثر من أربع سنوات، حيث أكد أن خيار المقاومة هو الخيار الأنجع لإحقاق الحقوق كما علمتنا تجارب الشعوب. إن خيار المقاومة هو الذي أدى إلى الانقلاب الذي حصل في الرأي العام الأوروبي، وهو الذي يفسر الأزمة البنيوية العميقة التي يعيشها الكيان الصهيوني، المعبر عنها في الأزمة الاقتصادية والأمنية، وانخفاض معدلات الهجرة القادمة وتزايد معدلات الهجرة المعاكسة.

إن خيار المقاومة يوجب تضحيات جسام لم يتوان شعبنا عن تقديمها في مسيرة نضاله من شهداء وسجناء وممتلكات، إلا أن فئة اجتماعية منه ارتبطت مصالحها مع التهدئة الميدانية، والتي لها نفوذ لا يستهان به في السلطة الفلسطينية، مستعدة دائما لتقديم التنازل تلو الآخر خدمة لمصالحها، بدون الأخذ بعين الاعتبار خيار شعبنا بالانتفاضة والمقاومة. إن هذه الفئة لا تعبر إلا عن نفسها، وحتى القيادة المتنفذة اعتبرت الاتفاقية غير ملزمة. إن صراعنا مع العدو الصهيوني هو صراع مفتوح سيستمر ما دام الظلم قائما. وحق العودة، أي عودة اللاجئين لديارهم التي شردوا منها، هو الآلية الرافعة للظلم، واتفاقية جنيف سيكون مكانها كما كان مع ما سبقها من اتفاقيات في مزبلة التاريخ.

وفي ضوء ما تقدم ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ما يلي :

١- ضرورة حشد طاقات شعبنا وقواه الوطنية والإسلامية لإحباط هذه المحاولة (المؤامرة).

٢- إعطاء جهد أكبر من قبل جميع القوى الفاعلة في مجال حق العودة لإنشاء مؤسسات ولجان عمل، وعقد مؤتمرات لترسيخ هذا الحق في ذهن كل مواطن فلسطيني.

٣- تشكيل القيادة الوطنية الموحدة، التي تضم جميع القوى والفعاليات الوطنية والإسلامية، لرسم الخط السياسي على قاعدة استمرار المقاومة والانتفاضة، والإعداد لانتخابات ديمقراطية تشمل شعبنا داخل الوطن وفي بلدان الشتات، لاختيار القيادة وترسيخ الديمقراطية الحقيقية، وبناء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية على أسس ديمقراطية.

٤- استمرار الانتفاضة والمقاومة وتصعيدها وتطويرها.

ورقة:

حول الواقع الاقتصادي الفلسطيني الراهن

مقدمة الى الهيئة العامة للإستعلامات - ورشة العمل المعقودة في غزة - ٢٠٠٣/١١/١٩ بمناسبة دخول انتفاضة الأقصى عامها الرابع

غازي الصوراني

إن معالجتنا للأوضاع الاقتصادية الفلسطينية، بمنطق التشخيص والتحليل وكشف المخاطر الراهنة والمستقبلية، هو أحد المداخل الضرورية لصياغة البدائل الاقتصادية الوطنية والمجتمعية، الهادفة لإخراج الواقع الفلسطيني الحالي من مأزقه الراهن.

ففي هذه الظروف التي تتزايد فيها مظاهر العنجهية الإسرائيلية الاحتلالية، وما يترتب عليها من خطوات عملية لخلق معطيات وحقائق أمر واقع جديدة، بالتهويد والاستيطان والجدار الفاصل والمزيد من تجريف الأراضي والاستيلاء عليها، والاغتيالات والقتل والمطاردة والاعتقال، والقصف وهدم البيوت، والحصار والضغط الاقتصادي والتجويع في إطار الصراع التناحري والتناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني. ولكن، ومع إدراكنا لمخططات هذا العدو، الهادفة إلى تدمير مقدرات شعبنا وصموده السياسي والاقتصادي، عبر منهجيته العدوانية شبه اليوميه، التي فاقت المنهجية النازية في عنصريتها وبشاعتها وآثارها المدمرة، إلا أننا ندرك أيضا العوامل الفلسطينية الداخلية السالبة والمتفاقمه في قلب هذا الصراع، وفي موازاته، حيث تتجلى الظروف الفلسطينية المعقدة في أحلك صورها في ظل الانتفاضة وعلى عتبات العام الرابع من تفجرها - رغم حدة وبشاعة العدوان الصهيوني واستمراره -، عبر تناقضات اقتصادية وسياسية ومجتمعية داخلية، تراكمت عبر مسار السلطة طوال العشر سنوات العجاف الماضية، الذي تزايدت فيه واتسعت مخاطر ممارسات أجهزتها ومؤسساتها، وانعكاسها على جماهيرنا الشعبية بصورة سلبية خطيرة ومؤثرة، لم يعهدها شعبنا من قبل، تتجسد هذه الممارسات - التي باتت حديث الشارع - في اتساع رقعة الفساد والإفساد الاقتصادي والاداري، والمحسوبيات، والتسيب، وبهتان دور القضاء، والانحطاط الاجتماعي عبر إعادة إنتاج التخلف، وتجديد دور رموزه بالتساوق مع مصالح أجهزة السلطة وفي خدمتها.

في هذا المناخ، يأتي الحديث عن مظاهر تراجع الاقتصاد الفلسطيني، وتزايد نسب البطالة والفقر في مجتمعنا، كضرورة، لا تتوقف عند الجانب الاقتصادي، بل تتخطاه نحو البعد السياسي في صيغة موحدة لا انفصام بينهما، بحيث يمكن عبر هذا المدخل، الدعوة الى عملية التغيير الديمقراطي الداخلي التي تستهدف وقف ومواجهة كل مظاهر الخلل والفساد ومحاسبة رموزه وأدواته، وهي عملية باتت أكثر من ملحه لانتشال مجتمعنا من هذا المأزق الخطير الذي يهدد وجودنا وأرضنا وقضيتنا، بعد أن وصلت قيادة السلطة الفلسطينية إلى وضع لم تعد قادرة فيه -لأسباب ذاتية وخارجية - على تقديم إنجازات جدية ملموسة ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل أيضا على الصعيد الاقتصادي التنموي والاجتماعي، الأمر الذي يفترض ضرورة تفعيل معطيات ومفاهيم وأدوات وأطر التغيير التي تسعى إلى فرض البديل الشعبي الديمقراطي، وآلياته المرتبطة بمبدأ وطريقة القيادة والمؤسسات المنسجمة معه، والمستجيبة لمتطلباته من جهة، وصياغة البرنامج أو الاستراتيجية الوطنية - الاقتصادية - التنموية - المجتمعية من جهة ثانية، على قاعدة أن التغيير الشامل صوب الإصلاح الجذري المطلوب عبر حاضنته الشعبية وأطره الطليعية المنظمة (أحزابا ونقابات ومنظمات جماهيرية ومؤتمرات وقوى مجتمعية ضاغطة) بات في هذه المرحلة سفينة النجاة التي يمكنها إنقاذ شعبنا من شروط «الإصلاح السياسي والاقتصادي» الأمريكي الإسرائيلي التي ستودي بنا الى مزيد من الفشل والتراجع من ناحية وإلى مزيد من الخضوع والتبعية بكل أشكالها من ناحية أخرى.

مؤشرات الواقع الاقتصادي الفلسطيني الراهن

السكان، والقوى العاملة في الضفة والقطاع كما في نهاية عام ٢٠٠٣ (١):

الضفة الفلسطينية	2.356.810
قطاع غزة	1.364.733
المجموع	3.721.543 (حوالي 572500 أسرة)

يشكل السكان المقيمون في المناطق والتجمعات الحضرية - في الضفة والقطاع - حوالي ٤٥٪، وفي المخيمات ١٥.٩٪، أما سكان التجمعات الريفية فيشكلون نسبة ٣٠.١٪ من عدد السكان الكلي[٢].

❖ نسبة الفتوة (اقل من 15 سنة) تبلغ 46.4٪ ما يعادل	1.726.796
❖ نسبة القوى البشرية (15- 64 سنة) تبلغ 50.3٪ ما يعادل	1.871.936
❖ نسبة السكان (65+) تبلغ 3.3٪ ما يعادل	122.811
الإجمالي	3.721.543

- القوى العاملة:

تقدر القوى العاملة الفلسطينية كما في نهاية العام ٢٠٠٣ بحوالي ٧٤٤٣٠٠ شخصاً أو ما يعادل ٤٠٪ من القوى البشرية، و٢٠٪ من مجموع السكان، وهي نسبة منخفضة قياسا ببعض الدول العربية مثل مصر التي تزيد فيها القوى العاملة عن ٣٠٪ من مجموع السكان، والاردن ٢٧٪ وسوريا ٢٨٪، وفي «اسرائيل» ٣٩٪.

تتراوح نسبة العاملين في القطاع الخاص من أصل مجموع القوى العاملة بين ٦٠- ٦٥٪، ويتوزع باقي العاملين على القطاع العام (السلطة) ووكالة الغوث، والمؤسسات الأهلية غير الربحية الأخرى.

تتوزع القوى العاملة كما يلي:

- الضفة الفلسطينية ٤٧١،٣٦٢ فرداً بنسبة ٦٣.٣٪ من إجمالي القوى العاملة الفلسطينية.
- قطاع غزة ٢٧٢،٩٤٦ فرداً بنسبة ٣٦.٧٪ من

اجمالي القوى العاملة الفلسطينية.

يبلغ معدل الإعاله - حسب إجمالي القوى العاملة أعلاه- في الضفة والقطاع ٥/١ تقريبا (كل فرد يعمل، يعيل ٥ أفراد) ويرتفع هذا المعدل اذا ما تم الأخذ بعين الاعتبار ارتفاع نسبة البطالة.

توزيع القوى العاملة كما في نهاية هذا العام ٢٠٠٣ حسب عدد سنوات الدراسة:

البيان	العدد	النسبة المئوية
لم يدرس أبدا	33.494	٪4.5
درس من سنة إلى ست سنوات	164.490	٪22.1
7-9 سنوات دراسية	139.376	٪24.1
10-12 سنة دراسية	200.961	٪27
أتم 13 سنة دراسية فاكثر	165.979	٪22.3
إجمالي القوى العاملة	744.300	٪100

- البطالة:

بلغت نسبة البطالة كما في عام ٢٠٠٢، ٣٣.٦٪(٣) أو ما يعادل ٢٥٠ ألف عاطل عن العمل حيث ترتفع نسبة الإعالة في هذه الحال إلى ٧.٥ فرداً لكل عامل) المعروف أن نسبة العماله التامة، قبل الانتفاضة في أيلول ٢٠٠٠، وصلت الى ٨٥.٨٪، والبطالة لم تتجاوز ١٤.٢٪ حسب العديد من المصادر، وقد أدى الحصار العدواني العسكري والاقتصادي الذي مارسه العدو الصهيوني منذ نهاية أيلول ٢٠٠٠ إلى ارتفاع نسبة البطالة إلى حوالي ٤٥٪ عام ٢٠٠١ هبطت إلى ٣٣.٦٪، عام ٢٠٠٢(٤).

على أي حال يجب أن ندرك طبيعة تكون وامتداد الجذور العميقة التي أنبتت وتنبت البطالة والفقر، عبر معرفة أسبابها الرئيسة، التي تتمثل في التخلف والتبعية الاقتصادية، وفي فشل جهود التنمية الداخلية لأسباب داخلية باتت معروفة للجميع، وبالتالي فإن علاج الخلل في بنية ومكونات الواقع الاقتصادي الفلسطيني الراهن مرتبط إلى حد كبير بمواجهة وعلاج الأزمات الداخلية المتراكمة عندنا طوال العشر سنوات، والتي تتمحور إلى حد بعيد تحت عنوان ظاهرة الفساد، التي استشرت في مجتمعنا - كما في مجتمعاتنا العربية- بحيث أنها لم تعد مسألة حسابية توضحها أو تعكسها الأرقام، بل باتت أخطر وأكبر من كميات الأموال المدفوعة على شكل رشاوى أو عمولات أو سمسرة أو خاوات، ذلك أن ممارسات الفساد والإفساد انتجت كثيرا من جوانب الخلل الذي يصيب أخلاقيات العمل وقيم المجتمع معاً، كنتيجة مباشرة وغير مباشرة لإنتشار «روح المضاربة» التي تطغى وتسود على روح المشروع أو العمل المنتج، بحيث أضحى اقتصادنا الفلسطيني يشبه ما يسميه الاقتصادي الإنجليزي «جون ماينرد كينز» بـ«اقتصاد الكازينو» الذي يكون فيه الرواج الاقتصادي نتاج المضاربة على أسعار الأصول في أسواق العقارات والبورصات، وليس نتاجاً للتراكم الرأسمالي»، الأمر الذي يكرس ما يسميه «كينز» برأسمالية المحاسيب، وهي ظاهرة تراكمت عندنا في غياب سيادة القانون وأنظمة الرقابة والمساءلة والشفافية، وفي ظل تطبيق مبدأ «أهل الثقة» على حساب مبدأ «أهل الخبرة والكفاءة»، ففي مثل هذا المناخ لا نستغرب أبداً إندفاع العديد من أصحاب الثروات الطارئة غير المشروعة، نحو التعاطي مع مفهوم رأسمالية السلب والنهب، ولا نستغرب أيضاً سيادة هذه الحالة الذهنية لدى قطاعات محدودة ولكن مؤثرة من الناس، تبرر الفساد، وتجد له من الذرائع للاستمرار والتوسع على مجمل حياتنا اليومية، وتدريجياً - في ظل هذا الواقع أو هذه الصيرورة الشاذة - تصبح الدخول أو الثروات غير المشروعة «الخفية والعلنية» الناتجة عن الفساد، هي الدخول الأساسية التي تفوق أحياناً في قيمتها تلك الدخول المشروعة الناتجة عن العمل في الانشطة الاقتصادية المختلفة، مما يجعل الفرد في بلادنا يفقد الثقة في أهمية العمل الأصلي، كما يفقد دافعيته الذاتية تجاه أي عمل منتج أو وظيفي، وبالتالي يقبل فكرة التفريط التدريجي في معايير أداء الواجب العام في وظيفته أو في مهنته في هذا القطاع الاقتصادي أو ذاك، بما يمهد الطريق - وبالتدريج ايضا- للتفريط فيما هو أخطر بالنسبة لقضايانا الأساسية الكبرى.

أداء الاقتصاد الفلسطيني ١٩٩٤-٢٠٠٣:

أورد فيما يلي تطورات الأداء الاقتصادي الفلسطيني واتجاهاته الرئيسية، وأبرز تحدياته، طوال العشر سنوات العجاف الماضية عموماً، ومنها سنوات الانتفاضة حتى العام ٢٠٠٣ خصوصاً، عبر المؤشرات التالية:-

١- تراجع مستوى المعيشة عام ٢٠٠٢ إلى اكثر من الضعف قياسا بعام ١٩٩٣، بفعل التضخم وارتفاع الأسعار وثبات الأجور والتوزيع غير العادل للثروة والدخل، بسبب تفاقم العوامل الداخلية السالبة من ناحية، وغياب الاستراتيجية الوطنية التنموية التي تستجيب لضرورات الصمود والمقاومة والاستقلال والبناء الداخلي من ناحية ثانية، ودون أن نقلل من دور العدو الإسرائيلي كسبب وتناقض رئيسي أول في تدمير مقدراتنا الوطنية ومواردنا وقطاعاتنا الاقتصادية.

٢- عدم حدوث أي تطورات جوهرية ملموسة بالمعنى الإيجابي، في البيئة التشريعية(٥) الاقتصادية، وتواصل النشاط الاقتصادي للسلطة (الحكومة) دون إقرار مرجعية قانونية موحدة ومتكاملة - تنظم عمل القطاع الحكومي والعام ومجالاته وآلياته، مما ساهم في استمرار معاناة اقتصادنا الفلسطيني من حالة الانكشاف المستمر، والهشاشة والضعف، خاصة وأن هذا الانكشاف تزايد مع استمرار الحصار والعدوان الإسرائيلي عموما، وقيود بروتوكول باريس خصوصا، الأمر الذي أدى إلى تعميق تبعية اقتصادنا للاقتصاد الإسرائيلي ضمن إطار الغلاف الجمركي والسياسات والمواصفات الإسرائيلية، إلى جانب الآثار الضارة والمريرة الناجمة عن توحد أسعار السلع بيننا وبين السوق الإسرائيلي، دون الأخذ بعين الاعتبار ذلك الفرق الهائل في الدخل الفردي السنوي في إسرائيل الذي وصل عام ١٩٩٩/٢٠٠٠ إلى ١٩ ألف دولار وهبط بفعل وتأثير الانتفاضة الى حوالي ١٦ ألف دولار عام ٢٠٠١، في حين أن هذا الدخل الفردي السنوي هبط إلى أقل من ٩٥٢ دولار في الأراضي الفلسطينية نهاية عام ٢٠٠٢.

٣- تراجع القطاعات الإنتاجية عموما والزراعة بصورة خاصة، حيث لم يتجاوز مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي ٦.٤٪- ٨٪ فقط منذ عام ١٩٩٩ حتى نهاية عام ٢٠٠٢، (حسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ومعهد ماس، وتقرير التنمية الفلسطيني لعام ٢٠٠٢)، كما تراجع قطاع الصناعة إلى نسبة ١٢.٦ ٪ عام ٢٠٠١ بعد أن وصل عام ١٩٩٩ الى ١٦.٠ ٪.

٤- تزايد محدودية سوق العمل الفلسطيني على خلق فرص عمل جديدة حيث لم يستطع هذا السوق، في سنوات ما قبل الانتفاضة، أن يوفر اكثر من ٣٧٪ من إجمالي فرص العمل الجديدة خلال تلك السنوات، جزء هام منها في القطاع العام، فيما وفر سوق العمل الإسرائيلي والمستعمرات الاستيطانية ٦٣٪ من فرص العمل الجديدة، لترتفع بذلك الأهمية النسبية للعمالة الفلسطينية في سوق العمل الإسرائيلي من ٢١.٧٪ في نهاية عام ١٩٩٨ إلى ٢٢.٩٪ في نهاية عام ١٩٩٩ (٦) وانخفضت هذه النسبة الى ١٠.٣٪عام ٢٠٠٢ بسبب عوامل الحصار والإغلاق المتكرر.

٥- بالنسبة لتطورات التجارة الخارجية الفلسطينية، فما زالت إسرائيل تهيمن على هذه التجارة حيث أن نسبة وارداتنا منها تصل إلى ٧٣٪ مقابل ٦.١٪ فقط من الدول العربية، و ٤.٢٥٪ من باقي بلدان العالم، ولا يختلف الأمر بالنسبة للصادرات التي تصل حصة إسرائيل فيها أكثر من ٩٢٪، هذه الأرقام تجعل الاهتمام بتطوير العلاقة التجارية مع البلدان العربية باتجاه توسيع قاعدة المصالح المشتركة وتعزيز فرص نمو هذا التعاون من الأولويات الضرورية في هذا الجانب.

٦- تنامي الاتجاه لانخفاض العون الدولي للشعب الفلسطيني، وتراجع المعونات من الدول العربية «الشقيقة» التي توقفت عن الدعم -منذ منتصف عام ٢٠٠٢- إلا بإذن خاص من واشنطن.

٧- استمرار محدودية حجم الائتمان المصرفي حيث لم تزد نسبة القروض للودائع حسب المراقب الاقتصادي - ماس العدد التاسع- عن ٢٩.٦٪ عام ٢٠٠٢ رغم ظروف الانتفاضة ومعاناة شعبنا وتضحياته، التي تستوجب من البنوك، أن تقوم بدورها الوطني في إطار منهج، وخطة وطنية، تقوم بالدرجة الأولى على تشغيل الجزء الأكبر من الودائع التي تزيد عن ٢.٧ مليار دولار في القطاعات الإنتاجية الفلسطينية عموما، والصناعة والزراعة خصوصا.

٨- تقدر الخسائر الاقتصادية الشاملة بسبب العدوان الهمجي الصهيوني وتدميره لمقدرات شعبنا بحوالي (١٢) مليار دولار خلال الثلاث سنوات الماضية.

٩- ارتفاع نسبة الفقراء إلى إجمالي عدد السكان من ٢١٪ عام ١٩٩٩ إلى ٦٠٪ عام ٢٠٠٢ تتوزع بنسبة ٥٥٪ في الضفة، و٧٠٪ في قطاع غزة، وهؤلاء الفقراء يستهلكون أقل من ٢٠٪ من السلع والخدمات؟! وفي نهاية عام ٢٠٠٠ بلغت نسبة الفقر المدقع ٤٠٪[٧] في الضفة والقطاع أي أقل من (١٥٥٠شيكل) لكل أسرة شهريا، ولم تتراجع هذه النسبة في عامي ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ بصورة ملموسة، آخذين بعين الاعتبار أن ظاهرة الفقر عندنا، لا تتوقف عند نقص الدخل وانخفاض مستوى المعيشة فحسب، بل تشمل أيضا غياب الإمكانات لدى العامل وأسرته للوصول إلى الفرص الحياتية ضمن الحد الأدنى الضروري، فمع استشراء حالة الفقر (المدقع بالذات)، يتوالد المزيد من الإفقار في القيم الاجتماعية، بما يفتح الباب نحو كافة الاحتمالات، فالمعروف أن ظاهرة الفقر لا تتوقف على العجز عن تامين الاحتياجات المباشرة فحسب، بل تتخطى ذلك -في ظل تفاقم الفساد وغياب القانون - الى اتساع مظاهر الفقر في القيم، والفقر في النظام والقانون والعدل. وفي هذا السياق فإننا نؤكد أن تزايد نمو الفئات والشرائح الفقيرة في مجتمعنا -وهي الأغلبية الساحقة - لا يتحقق كنتيجة للعدوان الإسرائيلي المتواصل فحسب، ولكن أيضا كنتيجة لسياسات السلطة وأجهزتها ومؤسساتها وأفعالها الاقتصادية الطفيلية الضارة على الصعيد الداخلي، مما يؤدي موضوعيا إلى زيادة مساحة ونوعية وحجم التدهور الاقتصادي والاجتماعي، وما يعنيه ذلك من استمرار التراكم للعاطلين عن العمل، وحجم الفقر بكل أشكاله ودرجاته، الى جانب مظاهر التردي السياسي والمجتمعي الأخرى المتزايدة.

١٠- انخفض نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠٠٢ بنسبة ٢٨.٤٪ عما كان عليه عام ١٩٩٤، حيث بلغ آنذاك ١٣٣٠.٢ دولار للفرد في السنة، تراجع إلى حوالي ٩٥٢ دولار عام ٢٠٠٢، ومن المحتمل بقاءه عند هذا المعدل في نهاية هذا العام ٢٠٠٣، خاصة في قطاع غزة، إذا استمرت الظروف الراهنة دون تغيير بالمعنى الإيجابي، خاصة في أوضاعنا الداخلية.

١١- انخفض الناتج المحلي الإجمالي[٨] من (٤٥١٦) مليون دولار عام ١٩٩٩ إلى (٤٤٤١) مليون دولار عام ٢٠٠٠، وإلى (٤٠٩٣) مليون دولار عام ٢٠٠١، وإلى (٣٣٩٠) مليون دولار عام ٢٠٠٢، أي بمعدل تراجع مقداره ٢٤.٩٪ قياسا بعام ١٩٩٩ وقد يهبط إلى اقل من ذلك في نهاية هذا العام ٢٠٠٣، فيما لو استمرت الظروف والعوامل الداخلية والخارجية على ما هي عليه.

١٢- إذا كان من المتفق عليه، من الناحية الموضوعية، إن القطاع الخاص عموما، محكوم بعوامل الربح والمصالح الخاصة، فإن ظروف تطور القطاع الخاص الفلسطيني فرضت مزيداً من أشكال ومظاهر التشوه في بنيته وهيكليته من ناحية، وعمقت نزوعه نحو تحقيق مصالحه الخاصة عبر نشاطه، بل وارتباطه أحيانا بالسوق الإسرائيلي، مما عزز بروز الأنانية والمصالح الفردية الاستغلالية - الطبقية - لمعظم أطراف أو مكونات القطاع الخاص الفلسطيني، كمظهر يشكل احد أهم سمات ومكونات الغالبية العظمى من مؤسسات هذا القطاع، ومما شجع على ذلك مناخات الفساد والفوضى والرشوة والمحسوبيات والخاوات من ناحية، والطابع الفردي شبه العائلي لمؤسسات القطاع الخاص من ناحية ثانية، الأمر الذي ساهم في اعاقة تطورها الرأسمالي التراكمي، وأعاق تطورها التقني، مما ساعد على توسع هذه المؤسسات أو المنشآت الصغيرة بما يتناسب مع طابعها الفردي المتخلف شبه المنغلق، فقد بلغ عدد هذه المنشآت عشية الانتفاضة وفرض الحصار في أواخر أيلول ٢٠٠٠، (٦٨٠٥٣) مؤسسة يعمل فيها (٢٠٤) آلاف مشتغل، هبطت إلى (٦٦١٩٣) منشأة عام ٢٠٠١[٩]، وهبط عدد المشتغلين إلى (٢٠٣) ألف عامل، أما بالنسبة لتوزيع المنشآت حسب النشاط الاقتصادي كما يلي: ٥٨٪ في التجارة، ٢٢٪ في الصناعة ٢٠٪ في القطاعات الأخرى، أما العاملين في هذه المؤسسات الخاصة، فقد بلغت نسبة العاملين في التجارة ٣٧٪ وفي الصناعة ٣٦٪ وفي الزراعة والأنشطة الأخرى ٢٧٪، والملفت للانتباه أن نسبة العاملين بأجر في قطاع التجارة حوالي ٢٠٪ فقط من إجمالي العاملين فيه - حسب ماس/المراقب الاقتصادي/ العدد السادس.

وبهذه المناسبة، ومع الإقرار بمسؤولية العدو الصهيوني وحصاره وعدوانه المستمرين، كسبب هام من أسباب التراجع والتدهور الاقتصادي وغيره، إلا أننا يجب أن لا نغفل دور السياسات الداخلية عندنا طوال العشر سنوات العجاف الماضية عموما وسنوات الانتفاضة الثلاث الأخيرة خصوصا، التي عمقت مظاهر الخلل والهبوط في كافة القطاعات الإنتاجية وغير الإنتاجية في القطاعين الخاص والعام على حد سواء، بما يستدعي العمل الجاد صوب تفعيل العملية التغييرية الديمقراطية الداخلية التي يجب أن يرتكز محورها أو جانبها الاقتصادي، على المفاهيم والخطوط العامة للاستراتيجية التنموية التي يجب العمل على بلورتها وتبنيها للخروج من هذا المأزق الحاضر إلى المستقبل، وفي هذا السياق أقدم فيما يلي اقتراحا لمجموعة من الأسس المكونة لهذه الاستراتيجية:-

أولا: حصر كافة البيانات والمعلومات الخاصة بالموارد الطبيعية والبشرية الفلسطينية عبر فريق وطني اقتصادي متخصص، تمهيدا للسيطرة المباشرة عليها وإدارتها، كهدف وطني يستحيل بدون تحققه تطبيق أي خطة تنموية فلسطينية

ثانيا: خلق مقومات اقتصاد المقاومة والصمود انسجاماً مع متطلبات هذه المرحلة، وما يعنيه ذلك من العمل الجاد على تطبيق سياسة اقتصاد التقشف أو المخيمات أو المناطق الفقيرة، بكل ما يعنيه من إجراءات تلغي - بعد المحاسبة القانونية- امتلاك أي مواطن أو مسؤول لأي شكل من أشكال الثروة الطفيلية غير المشروعة، و إلغاء كافة مظاهر الإنفاق الباذخ بكل أشكاله و أنواعه و أساليبه عموما وفي مؤسسات السلطة خصوصا.

ثالثا: فك الارتباط و التبعية و التكيف مع الاقتصاد الإسرائيلي ووقف هذا التضخم في حجم الواردات، وفرض الرسوم الجمركية العالية على الكماليات المستوردة مقابل تخفيف الرسوم على الواردات الأساسية، ووقف عمليات الاستيراد غير المباشر من السوق الإسرائيلي، الأمر الذي

يعني إلغاء بروتوكول باريس.

رابعا: التخطيط التأشيري والمركزي لتفعيل العملية الإنتاجية في الصناعة و الزراعة، والعمل على تفعيل العلاقة بين هذين القطاعين بما يخدم تطوير المنتجات الصناعية المعتمدة على الإنتاج الزراعي، وإقرار مشروع القانون الزراعي بهدف تحديد و إرساء استراتيجية زراعية فلسطينية تتناسب مع أهمية القطاع الزراعي.

خامسا: وضع سياسة تنموية زراعية آنية ومستقبلية تقوم على التخطيط و تفعيل دور مؤسسات الإقراض الزراعي و البنوك لتقديم الدعم للمزارعين الفقراء، وتطوير وتوسيع الأراضي الزراعية وأراضي المراعي والثروة الحيوانية.

سادسا: مراعاة الحفاظ على ثبات الأسعار للسلع الأساسية الضرورية للفقراء و رفع أجور الفئات والشرائح الاجتماعية من ذوي الدخل المحدود.

سابعا: تطوير دور القطاع العام و التعاوني والمختلط بعيدا عن أشكال الاحتكار، بما يدفع الى توسيع القاعدة الإنتاجية الفلسطينية، والسوق الفلسطيني، على نحو يؤدي الى إيجاد المزيد من فرص التشغيل المتواضعة، لليد العاملة، في الإنتاج والسوق المحليين من ناحية، ويسهم في ضمان معدلات عالية - نسبيا- من النمو لقطاعي الإنتاج الرئيسيين - الزراعة والصناعة - من ناحية ثانية. وفي هذا السياق فإن من الواجب والضروري، الأخذ بمقترحات البرنامج العام للتنمية الذي أشرف عليه المفكر الاقتصادي الفلسطيني د. يوسف صايغ إذ أن هذه المرحلة وضروراتها الاقتصادية السياسية معا تقتضي من كافة المسؤولين في السلطة الأخذ بتلك المقترحات بعد إهمال طويل وغير مبرر لها.

ثامنا: إنشاء و تفعيل المؤسسات الاقتصادية الكبرى في قطاع الصناعة على نمط الشركات الصناعية المساهمة العامة و المختلطة لمواجهة هذا الضعف في البنية الصناعية ونقلها من طابعها الحرفي- الفردي - العائلي إلى طابعها الإنتاجي العام الكفيل وحده بتطوير القطاعات الإنتاجية في بلادنا.

تاسعا: العمل بكل جديه، وعبر كافة السبل والضغوط السياسية الممكنة، من أجل تفعيل وتوسيع مجال التبادل التجاري الفلسطيني العربي ووقف احتكار السوق الإسرائيلي لهذه العملية. وكذلك التركيز على فتح سوق العمالة العربي، في مختلف البلدان، أمام العماله الفلسطينية، الماهرة وغير الماهرة، وفقا لقوانين وأنظمة التشغيل في تلك البلدان، دون أن يؤثر ذلك إطلاقا في هوية الفلسطيني أو يتخذ أي بعد سياسي يتناقض مع حقه في العودة أو الإقامة الدائمة في وطنه، علما بأن السوق العربي في دول الخليج والسعودية يستوعب أكثر من ثلاثة ملايين عامل أجنبي سنويا، في حين أن أعلى معدل للبطالة عندنا في فلسطين لا يتجاوز ١٠٪ من هذه العماله الوافده الى هذه الدول من الهند وسيريلانكا وباكستان وايران !!؟.

عاشرا: متابعة تنفيذ البرامج والدراسات والتوصيات المتعددة الخاصة بتفعيل دور رأس المال الفلسطيني في الشتات، رغم وعينا بارتباطه برأس المال العالمي المعولم.

إن هذه الرؤية، أو الخطوط العامة الأولية المقترحة، لا بد لها لكي تملك مقومات التغيير الإيجابي المطلوب، أن تتبنى منهجا علميا، وفلسفة ذات مضمون وطني وقومي، تقوم على الإيمان العميق بوجوب تمتع شعبنا الفلسطيني بحقوقه وحرياته الأساسية وممارسته لها، كمقدمة تؤدي الى وقف تراكمات الأزمة الراهنة، وتفاقم تناقضاتها المحكومة بثنائية غير منطقية أو منسجمة، تتراوح بين فردية القرار وأحادية الخطاب في السلطة وأجهزتها من جهة، وبين جماعية المعاناة والتضحيات والأمال الكبيرة من جهة ثانية، وبالتالي فإن إلغاء هذه الثنائية المتناقضة هو سبيلنا الوحيد نحو نظام الحكم الديمقراطي الوطني، العادل والقوي، الممتلك للفهم السليم والواضح لوظيفته الجوهرية بشقيها: الوطني والديمقراطي الداخلي بما يضمن رسم السياسات الاستراتيجية المعبرة عن مصالح جماهير شعبنا، بمثل ما يضمن أيضا، توجيه وزارات ومؤسسات وأجهزة السلطة نحو تحقيق تلك السياسات أو الرؤى في الاقتصاد كما في السياسة، بكفاءة عالية تخدم أهدافنا وثوابتنا الوطنية العامة بمثل ما تخدم وترتقي بأهدافنا المطلبية الداخلية دون أي انفصام بينهما.

على أن تطبيق هذه الخطة الاستراتيجية مرهون بعملية تغيير جدي وعميق في كافة مؤسساتنا من جهة، ومشروط بتمسكنا بثوابتنا الوطنية الفلسطينية وبتعزيز خيار شعبنا الفلسطيني في إقامة نظامه السياسي المستند والملتزم بآليات ومفاهيم الديمقراطية التي تقوم على التعددية والحرية، وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص وسيادة القانون وقواعد المحاسبة ضد أدوات ورموز الفساد من جهة أخرى، إذ ان تطبيق هذين الشرطين في إطار الرؤية الاستراتيجية سيمكننا من الحديث بثقة عن تحقيق أهم هدفين من أهدافنا الوطنية على الصعيد الداخلي هما:-

١- محاسبة رموز الفساد والاستبداد، ووقف استخدام السلطة، من قبل الكثير من رموزها، كجسر لجمع وتراكم الثروات الطفيليه غير المشروعة على حساب قوت وحياة الجماهير الشعبية، حيث أدى هذا الاستخدام الأناني البشع، إلى فقدان مساحات واسعة من جماهيرنا لدورها وحريتها، إن على صعيد ممارستها لحقها في نقد ومواجهة مظاهر الخلل الداخلي أو على صعيد حقها في الحياة والاستقرار.

٢- تقوية وتعزيز الوحدة السياسية لمجتمعنا وتوفير قدراته على الصمود والمقاومة حتى طرد الاحتلال وتفكيك وازالة مستوطناته على طريق الحرية والدولة المستقلة والتنمية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية.

المصادر:

١- المصدر: الجهاز المركزي للاحصاء-فلسطين فى ارقام ٢٠٠٢-رام الله، مع إضافة نسبة ٤,٥٪ زيادة سكانية لعام ٢٠٠٣.

٢- المصدر: د.عبد القادر عابد، صايل الوشاحي- جيولوجية فلسطين - مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين - القدس - الطبعة الاولى - ١٩٩٩- ص٣٥٦.

٣- المراقب الاقتصادي - العدد رقم ٩ - معهد ماس - رام الله - ديسمبر - ٢٠٠٢.

٤- المصدر: المراقب الاقتصادي ماس - رام الله - ٢٠٠٢ صفحة المؤشرات الرئيسية للضفة الغربية وقطاع غزة، علماً بأن الجهاز المركزي للإحصاء أورد نسبة البطالة ٣١,٣٪ لعام ٢٠٠٢ في كراس مسح القوى العاملة الصادر في أبريل ٢٠٠٣ - ص ٤٩.

٥- تم إقرار مجموعة من القوانين ذات الشأن الاقتصادي بلغت ٢٢ قانون حتى نهاية ٢٠٠٢/١٠/٢٢، إضافة لإقرار ١٠ قوانين أخرى من المجلس التشريعي و إحالتها إلى الرئيس للمصادقة عليها، وأيضا يوجد ١١ مشروع قانون في مراحل مختلفة من المناقشات في المجلس التشريعي حتى نفس التاريخ، وهي مشاريع ضرورية لتوفير البيئة القانونية ودعم المناخ الاستثماري في الاقتصاد الفلسطيني. (المصدر: ماس العدد التاسع).

٦- المصدر: المراقب الاقتصادي، (ماس) العدد السادس، نيسان ٢٠٠٠.

٧- المصدر: المراقب الاقتصادي - معهد ماس - العدد التاسع - كانون أول ٢٠٠٢ - المؤشرات الرئيسية.

٨- المصدر: الجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني، الحسابات القومية، الأسعار الجارية والثابتة ١٩٩٤- ٢٠٠٠، نيسان٢٠٠٣ ص١٣-١٥. والمراقب الاقتصادي- ماس - العدد ٩. أما بيانات عام ٢٠٠١ فقد تم الحصول عليها من تقرير التنمية البشرية الفلسطيني لعام ٢٠٠٢، وبالنسبة لعام ٢٠٠٢ فقد قمنا بإيراد مجموع الناتج المحلي حسب تقدير البنك الدولي- نشرة مركز تطوير القطاع الخاص الصادرة باللغة الانجليزية- يوليو- ٢٠٠٣-الاصدار رقم ٢- ص ٩.

٩- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني - سلسلة المسوح الاقتصادية - ٢٠٠١ - نيسان/أبريل ٢٠٠٣ - ص٤٣.

قطاع غزة
.. صمود أسطوري في منطقة منكوبة

تقرير: أحمد م. جابر

منذ ست وثلاثين عاماً يخضع الشعب الفلسطيني عموماً، وأهالي قطاع غزة على وجه الخصوص، لجرائم حرب منظمة متجسدة في احتلال مستمر ضمن ظروف لا أبشع ولا أقسى. ومنذ بداية الانتفاضة الثانية يخضع القطاع وسكانه لحصار جعل الأوضاع تقترب من مستوى كارثة محققة. ولا نبالغ إذا قلنا أن القطاع تحول عبر ممارسات الاحتلال ونتيجة للعدوان المستمر على الأرض والبشر والشجر إلى منطقة منكوبة بكافة المعايير. وأن العدو الصهيوني يرتكب يومياً ما لا يحصى وما يصعب رصده وتسجيله من جرائم الحرب التي يعاقب عليها القانون الدولي وتحرمها كل الاتفاقات الدولية.

نسعى في هذا النص إلى رصد الإطار العام للكارثة، التي تقع على قطاع غزة، وأهاليه وبتركيز الضوء على بيت حانون ورفح أكثر المناطق تضرراً.

قطاع غزة بمحافظاته الخمس «شمال غزة، غزة، دير البلح، الوسطى، خان يونس، ورفح، يشكل جزءاً من السهل الساحلي الفلسطيني الواقع جنوب غرب فلسطين، ويشكل مستطيلا طويلا وضيقاً بتفاوت، يبلغ طوله ٤٥ كم، وعرضه ٥ . ٧ كم شمالا و١٢ كم نهاية الجنوب، بمساحة إجمالية تبلغ ٣٦٥كم٢ وبتعداد سكاني حتى نهاية عام ٢٠٠٣ يبلغ ٧٣٣ . ٣٦٤ . ١نسمة.

وتمارس قوات الاحتلال الصهيوني سلسلة من الإجراءات البشعة بحق السكان عموماً يمكن إجمالها بمايلي:-

١- انتهاك الحق في حرية التنقل والحركة:

حيث وعبر سيطرة القوات المحتلة الشاملة على المعابر والمنافذ المطلة على القطاع، فإنها تتحكم كليا بحرية المرور من وإلى القطاع، مما ينعكس سلباً على مناحي الحياة الاجتماعية والصحية والثقافية والاقتصادية للأهالي، ويعتبر معبر رفح هو المنفذ الوحيد لسكان القطاع على العالم الخارجي، إضافة إلى مطار غزة المغلق منذ بداية الانتفاضة، ويمارس جنود الاحتلال ابشع أساليب التعذيب المادي والنفسي ضد المواطنين الفلسطينيين في الحركة والتنقل عبر التنكيل بهم على الحواجز والمعابر، التي تقطع أوصال القطاع إلى أجزاء متناثرة.

وتنعكس هذه الإجراءات في عسف لا نهائي يؤدي إضافة إلى انتهاك الحق في الحركة داخل القطاع في التواصل مع الضفة الغربية عبر الحصار الشامل الذي ازداد تعقيداً مع إغلاق الممر الآمن الوحيد.

يضاف إلى حالة الحصار الشامل، حصار جزئي متعدد على عدد من المدن والمناطق حيث تحول القطاع إلى دوائر معزولة متداخلة، حصار داخل حصار، كما هو حال المواصي في خان يونس، ورفح الخاضعة لحصار شديد، يضاف إليه استمرار منع التجول على وادي السلقا و القرارة واستمرار حصار منطقة السفا.

٢- انتهاك الحق في التعليم:

نتيجة لحالة الحصار والعزل، تم إغلاق عشرات المدارس إضافة للجامعات، ويعاني التلاميذ أشد الأهوال في سبيل الوصول إلى مدارسهم الواقعة في أحيان كثيرة في مناطق محاصرة بعيدة عن منازلهم في ظل قطع الطرق وكثرة الحواجز والقصف المستمر، ويضاف إلى ذلك حرمان آلاف الطلاب من مواصلة دراستهم في جامعات الضفة نتيجة إغلاق القطاع وفصل الضفة عن القطاع. ويلحق بذلك ما يلحق به من أذى نفسي شديد يتعرض له التلاميذ والطلاب إضافة إلى تدمير العملية التعليمية مما يهدد جيلاً كاملاً من الفلسطينيين بأعوام من التجهيل.

٣- انتهاك الحق في العمل:

حيث يتميز قطاع غزة بطاقة عمل كبيرة بدون فرص عمل ومجالات تتيح لأبنائه العمل في ظل ظروف تحقق الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية، وليس بمجهول أن أسواق العمل الإسرائيلية هي المكان الوحيد، إضافة إلى الضفة، وفي ظل هذه الأوضاع تمنع سلطات العدو العمال من التوجه للعمل إلا ضمن ثلاث شروط قاسية هي أن يتجاوز العامل ٣٧ عاماً من العمر، وأن تكون صفحته الأمنية نظيفة، وأن يتم طلبه من قبل صاحب العمل الأول، وطبعاً في ظل ظروف الانتفاضة وتحديد أعداد ضئيلة من رخص العمل يبدو مستحيلا تحقيق أي شرط من الشروط، إضافة إلى عدم التمكن من الذهاب إلى الضفة للعمل دون النظر إلى الدمار الحال بها هي أيضا.

٤- انتهاك الحق في الصحة:

حيث يتعرض هذا القطاع لانتهاكات جسيمة تتمثل في الاعتداءات على أفراد الطواقم الطبية، ومعداتهم، والمستشفيات، وعرقلة سيارات الإسعاف، ويعمل الجنود على عرقلة إنقاذ المرضى والجرحى ووصولهم إلى المستشفيات، ويعتبر هذا العدوان جزءاً لا يتجزأ من انتهاك حق الحياة عبر الاستخدام المفرط للقوة ضد المواطنين العزل، الذين يتعرضون للقصف وإطلاق النار في كل الأوقات وبدون اي أسباب .

بيت حانون.. مأساة وصمود

تقع بيت حانون شمال شرق مدينة غزة، وتبعد عن مدينة جباليا ٣.٥ كم شمالاً، وتبلغ مساحتها الكلية ١٣.٤٣٨ دونماً ، ويبلغ عدد



سكانها ٢٠٧٩١.

منذ بداية الانتفاضة ترتكب قوات الاحتلال جرائم شبه يومية بحق السكان وممتلكاتهم، حيث بلغت مساحة الأراضي المجروفة ٢١٨.٦٣٤.١ مترا مربعا وتم تدمير ٢٧٣ منزلا تدميرا كليا وخمس محلات تجارية و٣ منشآت صناعية و١٦ مركبة و١٠ آليات إضافة إلى ١٩٠ شهيدا وعشرات الجرحى.

ونتيجة لممارسات الاحتلال تحولت بيت حانون إلى مدينة منكوبة، ومحرومة، بعد اجتياحها لأكثر من ٢٠ مرة، أخطرها كان اجتياح شهر أيار عام ٢٠٠٣ إذ طال الدمار البنية التحتية الزراعية، وألحق خسائر مادية بكافة القطاعات تجاوزت ٨٦ مليون دولار، إضافة إلى تجريف أكثر من ١٥٠٠ دونم من الأراضي الزراعية.

وتعاني بيت حانون من مشكلات متعددة أبرزها إضافة لممارسات الاحتلال وقمعه المتواصل، استمرار انقطاع التيار الكهربائي ومياه الشرب والهاتف، إضافة إلى نقص حاد في حليب الأطفال، والمواد الغذائية الأساسية، في ظل وضع يشكل فيه الخروج من المنزل مخاطرة كبيرة تهدد الحياة نتيجة للعدو المتربص الذي يطلق النار على كل شيء يتحرك.

ونتيجة لتدمير المزارع والبيارات واقتلاع الأشجار فقد معظم السكان موارد عيشهم، وعانوا من الفقر الشديد، ويعكس رفيق الزعانين وهو مزارع في الـ ٧٥من عمره من بيت حانون هذا الوضع بقوله أن دخله السنوي انتقل من ١٠ آلاف دينار إلى الصفر، وأصبحت العائلة تعتمد على مساعدات غذائية من إحدى الجمعيات الخيرية.

ويقول عطا سعادة: كل ما ادخرته خلال أربعين عاما أضاعته جرافة إسرائيلية في يوم واحد.

أخيرا إن ما توثقه منظمات حقوق الإنسان والجهات القانونية حول حجم الخسائر في أرواح وممتلكات السكان المدنيين في بيت حانون المحتلة، هو دليل دامغ على أن ما ترتكبه قوات الاحتلال ليس سوى جرائم حرب منظمة، بالنظر إلى الانتهاكات الجسيمة والمنظمة لقواعد القانون الدولي، ولاسيما اتفاقية جنيف الرابعة.

رفح بوابة الجنوب:

تقع مدينة رفح في أقصى جنوب قطاع غزة، بمساحة ٦٠.٥٠٠ دونما ويمتد طرفها الجنوبي على طول الشريط الحدودي مع جمهورية مصر العربية، ويبلغ عدد سكانها عام ٢٠٠٣ ،١٥٨.٥٩٢ نسمة ويشكل اللاجئون الجزء الأكبر من السكان، إذ يبلغ تعدادهم ١٠٠.٨٩٣، نسمة بما يفوق ٦٣.٦ ٪ من إجمالي عدد السكان ١.

وتعتبر رفح أكثر المحافظات فقرا، وتفتقر المناطق والأحياء السكنية للبنى التحتية الملائمة لحياة كريمة، وتعاني من نقص في شبكات المياه والكهرباء والهاتف، وعدم وجود شبكة صالحة للصرف الصحي.

وقد تضاعف عدد شهداء رفح بشكل كبير، ويبلغ عددهم منذ بداية الانتفاضة وحتى تشرين أول ٢٠٠٣، ٢٦١، شهيدا بينهم ٥٦ طفلا دون الثامنة عشر، وبلغ عدد الجرحى ٢٤٧٢، بينهم ١١٠ إعاقات دائمة.

وبلغ عدد المنازل المدمرة ١١٢٨ منزلا، تأوي ١٤٨٤ عائلة أي ٨٥٠٠ نسمة، كما تضرر ٦٠٠ منزل جزئيا.

وتستند عمليات التدمير الشامل في رفح إلى خطة إسرائيلية مسبقة تستهدف تهجير السكان وإقامة جدار أمني، ومنطقة عازلة، على طول الحدود مع مصر.

ويأتي التدمير الممنهج بثلاثة أبعاد، الأول كإجراء عقابي جماعي ضد السكان ردا على أعمال المقاومة، ومحاولة لكسر صمود سكان رفح، والثاني السعي الدائم لإزالة المخيمات وتوطين اللاجئين في مناطق أخرى في داخل غزة، والثالث توسيع مستوطنات الجنوب، والعمل على إقامة المنطقة العازلة.

كان ذلك غيضا من فيض الممارسات الصهيونية ضد شعبنا في قطاع غزة، مما تتسع له المساحة المحددة لهذه المقالة.

ولا شك أن الممارسات الصهيونية تستدعي إجراءات عاجلة تنادي بها منظمات حقوق الإنسان للعمل الفوري على:-

١- توفير الحماية الدولية الفاعلة للسكان المدنيين وممتلكاتهم.

٢- الكف عن تسييس معاناة الشعب الفلسطيني في واقع تم فيه التضحية بحقوق الإنسان، مما بلغ حد ارتكاب جرائم حرب يومية ضد السكان.

٣- العمل على ملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيليين وإعداد لوائح اتهام بممارسات القادة السياسيين و العسكريين والضباط الميدانيين والجنود، ورصد انتهاكاتهم وجرائمهم وتوثيقها.

٤- تقديم وسائل الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني لتعزيز صموده وارتباطه بأرضه.

٥- البحث في وسائل لإجبار دولة الاحتلال على التعويض للفلسطينيين.

٦- المناداة الدائمة بفرض عقوبات على دولة الاحتلال الإسرائيلي.

أكدت الجبهة الشعبية في بيان سياسي صادر من فلسطين، إدانة كل من تسول له نفسه بالتفريط بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وأكدت أنه لا يجوز لقائد أو فصيل مهما كان حجمه إنهاء حالة الصراع مع العدو، وأن أي اتفاق يفقد مشروعيته إذا لم يستند إلى تفويض شعبي عبر استفتاء شعبي للمصادقة عليه، ودعت الجبهة للتمسك بحق العودة، كحق مقدس غير قابل للتصرف أو الإنابة، ودعت كل القوى، وبشكل خاص الوزراء، للالتفات إلى ما يجري فوق أرضنا من قتل وتدمير واغتيالات واعتقالات ولقاءات مشبوهة في المنتجعات والمقاهي.

في إطار الرد الطبيعي على جرائم المجرم شارون وأركان حكومته، في رفح وطولكرم ونابلس وكل مدن وقرى ومخيمات فلسطين، قامت كتائب الشهيد أبو علي مصطفى بالعمليات العسكرية التالية:-

- قامت كتائب أبو علي مصطفى والأقصى صبيحة ٢٠٠٣/١١/٥ بتفجير عبوة ناسفة في جيب عسكري بالقرب من معبر صوفا في رفح، حيث أصيب إصابة مباشرة أدت إلى مقتل وإصابة كل من فيه .

- مجموعة طلال حويحي وطارق المصري التابعتين لكتائب الشهيد أبو علي مصطفى قامت بتفجير عبوة ناسفة لدى مرور دورية استطلاع من الوحدات الخاصة، وقد أصابت العبوة الجنود الغزاة إصابات مباشرة، وذلك شرق مدينة بيت حانون يوم ٢٠٠٣/١٠/٣١.

- قامت مجموعة الشهيد نور الدين العقاد التابعة للكتائب بتفجير عبوة ناسفة في دبابة صهيونية في منطقة القرارة، وأصابت هدفها إصابة مباشرة، حسب اعتراف راديو العدو وذلك في تمام الساعة الثالثة صباح ٢٠٠٣/١١/١٦ .

- قامت الأجهزة الأمنية الفلسطينية باعتقال الرفيق جبر فواز الأخرس على خلفية اتهامه بتنفيذ العملية البطولية ضد حاجز إسرائيلي في طريق الأنفاق والتي قتل فيها جنديان صهيونيان الثلاثاء ١٨/ ٢٠٠٣/١١

وحذرت الجبهة أجهزة السلطة من مغبة تسليم الرفيق المناضل إلى سلطات الاحتلال وطالبت بضرورة الإفراج الفوري عن البطل الرفيق الأخرس.

تمويل دولي للمؤسسات التي تبعد المرأة عن واقعها النضالي

رام الله/ أجرى الحوارات: عبدالرحيم الريماوي

المرأة شريك أساسي في العملية النضالية منذ بدايات الثورة الفلسطينية، كما لعب صمود المرأة دورا كبيرا في استمرارية النضال، ومع ذلك لم يتم إنصافها، ولم تترجم تضحياتها إلى «مشاركة في القرار السياسي».

(الهدف) أجرت حوارات حول «المرأة الفلسطينية المقاومة» شاركت فيها كل من جميلة صيدم عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، آمنة الريماوي عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، دلال سلامة عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، مها نصار رئيسة اتحاد لجان المرأة الفلسطينية، وأمل خريشة رئيسة جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية.

س: ثلاث سنوات مرت على الانتفاضة ولكن يبدو كما يرى بعض المتابعين أن هناك دوراً ضعيفا للمرأة في الجهد المقاوم والعمل الكفاحي كيف تقيّمين دور المرأة في هذا الشأن؟

جميله صيدم: الانتفاضة الحالية تختلف عن الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ وذلك بسبب عدة متغيرات لعبت دورا في تغيير دور المرأة وعطائها أثناء الانتفاضة الحالية، ولكن لا يمكننا القول أن الدور قد ضعف أو أصبح اقل من المراحل الماضية، فجغرافية المواجهة اختلفت عن جغرافية الانتفاضة السابقة.

في الانتفاضة السابقة كان هناك احتكاك مباشر مع قوات العدو في المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية الأن أصبح خارج التجمعات السكانية ويتمركز في مواقع استراتيجية بعيدة، وأصبح من الصعب على المرأة أن تصل إلى مكان تواجد الاحتلال، رغم ذلك بقيت المرأة هي الأساس في معركة المواجهة، فقد ساهمت في صمود الشعب الفلسطيني من خلال الحفاظ على الثقافة والتعليم والعمل الاجتماعي في صفوف الشعب، وشاركت بدور سياسي شعبي والتزمت بالثوابت الوطنية، ولكن القوى السياسية الفلسطينية تتحمل مسؤولية غياب المرأة في صفوفها.

آمنه الريماوي: إذا حصرنا مفهوم المقاومة في العمل المسلح والعسكري، نجد أن هناك تراجعا في هذا الجانب للحركة الوطنية بشكل عام وليس للمرأة وحدها، فالعمليات الفدائية والاستشهادية تنفذها نخبة مميزة ومحدودة، غالبيتها من التيار الإسلامي الذي يحرم مشاركة المرأة في العمل الاستشهادي.

دلال سلامة: المرأة الفلسطينية كانت تمثل دائما صمام أمان وجوهر استمرارية الانتفاضة، فالذين يقدمون التضحيات لهم زوجات وأمهات وبنات، ولتضحياتهم انعكاسات مباشرة على أهلهم، فالمرأة استطاعت أن تتحمل عبء وتبعات السياسة الإرهابية الإسرائيلية، وعملت جاهدة كي تحافظ على أسرتها وأبنائها وعلى المجتمع، وإصرار المرأة على تحمل الويلات يأتي بسبب قناعتها بدورها النضالي والوطني، فهي تناضل وتقاوم الاحتلال الإسرائيلي بهدف المحافظة على كرامة الأجيال القادمة، لذلك فإن الدور الوطني والنضالي يمتد إلى كافة مناحي الحياة، كل من بقي على الأرض الفلسطينية فهو مناضل، في الانتفاضة الحالية المشاركة النسوية غير مرئية بسبب انتقالها من الفعل المباشر إلى الفعل من خلال المؤسسات «الرسمية والمجتمع المدني، فقد رعت الأطفال ولعبت دورا في توعية أبناء الشعب.

مها نصار: بالمقارنة مع الانتفاضة الأولى هناك غياب لدور المرأة في الانتفاضة الحالية، هذا الغياب جاء بسبب عدم ظهور المرأة في وسائل الإعلام، فمقتضيات المرحلة الراهنة تقول أن الانتفاضة الحالية وصفت بالانتفاضة المقاومة، والمرأة الفلسطينية لم تلتحق بهذا الشكل الكفاحي مما ادى إلى صعوبة ظهورها أمام وسائل الإعلام، ولكن المرأة شاركت في كل اللجان الحيوية وكانت ذراعا للانتفاضة على المستوى الجماهيري والاجتماعي، ومع ذلك هناك حالات نسوية كفاحية، وعدد الفتيات الملتحقات بالعمل المقاوم بازدياد.

ومما يلفت الانتباه أن المرأة الفلسطينية في مخيمات الشتات قامت بأعمال كفاحية، وفي الداخل لم تتوفر لها الظروف لخوض العمل الكفاحي، ولذلك طالبت بسن قوانين جديدة تضمن عدم التمييز ضد المرأة، وعلى القوى الفلسطينية الديمقراطية أن تترجم الشعارات إلى ممارسة عملية على الأرض، بمعنى أن تفسح المجال أمام النساء للمشاركة في القرار السياسي على المستوى الوطني العام.

أمل خريشة: تراجع المشاركة الجماهيرية في الانتفاضة سببه غياب الدور المنهجي لكافة الحركات الاجتماعية، فعسكرة الانتفاضة والتوجه للعمل المسلح أدى إلى إضعاف العمل الجماهيري في الانتفاضة الحالية، فنهوض حركة النساء بشكل جماهيري في مواجهة بناء سور الفصل العنصري، وفي مواجهة الاستيطان عبر مظاهرات سلمية ضد الاحتلال هو أمر مطلوب، ويتطلب من قيادة الحركة النسوية ومن القيادة السياسية العمل على بلورة استراتيجية لاستمرار المقاومة ولتحفيز الجمهور الفلسطيني على المشاركة في النضال.

في هذه الانتفاضة كان هناك جهد نسوي متميز في العلاقات العامة وعلى مستوي الاتصال الدولي، فقد قامت المرأة بزيارات لكافة القناصل والسفارات في مناطق السلطة الفلسطينية قبل بدء الحرب على العراق من اجل وضع الضفة وغزة تحت الحماية الدولية، ولمواجهة سياسة «الترانسفير» التي لوحت بها الحكومة الإسرائيلية، فالنساء يقمن بجهد متواصل للضغط على صانعي القرار السياسي في ألمانيا وبريطانيا وهولندا، كما أن الواقع اليومي الدامي تعاني منه النساء نتيجة الأدوار الاجتماعية المطلوبة منها في ضوء ارتفاع نسبة البطالة، فالجميع يبحث عن عمل لمواجهة الفقر والمجاعة التي تعاني منها الأسر الفلسطينية، ٢٠٪ من العائلات الفلسطينية يعتمد بشكل أساسي على المساعدات الدولية وهذا مؤشر خطير للواقع الاقتصادي الذي له انعكاسات اجتماعية سلبية على الأسر الفلسطينية.

س: ما هو الدور المفترض للقوى وفصائل العمل الوطني في تقوية وتعزيز دور المرأة الكفاحي أسوة بالرجل؟

جميله صيدم: مازالت القوى والأحزاب السياسية مقصرة تجاه المرأة الفلسطينية، فأصحاب القرار السياسي ما زالوا من الرجال، وهم يقفون أمام طموح ووصول المرأة إلى المناصب الأولى.

نمطية المجتمع الفلسطيني تحجم دور المرأة، والقوى السياسية تلعب دورا في تحجيم دور المرأة، فالرجل ما زال يميز نفسه على حساب المرأة، فالأحزاب تتحدث عن الديمقراطية ولكنها لا تلتزم بتطبيقها، والمرأة توضع في مواقع متقدمة لتكون صورة وليست من منطلق القناعة بدورها، لذا فهي تواصل نضالها لإثبات حضورها ووجودها ومشاركتها، والمرأة قادرة على انتزاع الاعتراف من الرجال بقدراتها، لكن العقلية النمطية والديكورية ما زالت تسيطر على الرجل ويتحمل هذه المسؤولية القوى والأحزاب التي تدعي التقدمية والديمقراطية.

آمنه الريماوي: لا بد من الإشارة إلى أن المجتمع الفلسطيني هو مجتمع شرقي «ذكوري، والأحزاب السياسية هي امتداد لهذا المجتمع، نظريا يجري الحديث عن المساواة وعدم التمييز، كما أن القوانين العصرية لا تميز ما بين الرجل والمرأة في الانتخابات والتسلسل الوظيفي، وعلى رأسها النظام الأساسي للسلطة الفلسطينية، وعند التطبيق على الأرض نبقى مجتمعا ذكوريا، المرأة تأخذ فيه هامشا محدودا، فغالبية المؤسسات والمنظمات النسوية التي تهتم بالمرأة أغلقت «الحضانات، رياض الأطفال».

دلال سلامة: الدور الأساسي يقع على الأحزاب السياسية من خلال تبنيها مفهوما واضحا تجاه المرأة، وإشراكها وتعزيز دورها، وكلما أعطت الأحزاب مزيدا من المساحة لمشاركة المرأة ووصولها إلى مراكز صنع القرار دون استخدامها كأصوات وأرقام، عملت على تطوير وضع المرأة وارتقاء دورها السياسي، ومطلوب من الأحزاب أن تعمل على تغيير برامجها وتطوير توجهاتها لتلبي احتياجات المرأة وتعزيز إمكانية تواجدها في الهيئات القيادية لهذه الأحزاب.

مها نصار: المرأة أعطت أمثلة ونماذج عديدة في التصدي والكفاح والمقاومة، فمطلوب الارتقاء بدور المرأة في داخل الأحزاب السياسية لتعكس الصورة الحقيقية للمرأة المناضلة.

أمل خريشة: النساء رفعن صوتهن عاليا من أجل تشكيل قيادة وطنية موحدة تدير الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، وتكون مرجعية لأي حكومة فلسطينية تقوم بالمهمات المدنية، فالقيادة الوطنية قادرة على تحديد الشكل النضالي والكفاحي ولعب دور في تعزيز الصمود وتلاحم المجتمع الفلسطيني، قيادة وطنية موحدة تمتلك الاستراتيجية في إدارة الصراع مع العدو الإسرائيلي سواء في الخطاب السياسي أو العمل الدبلوماسي أو العمل المقاوم، فهناك علاقة عضوية بين إصلاح الجبهة الداخلية والاستعداد لبناء مؤسسات الدولة على أرضية صلبة لتحقيق الحلم الفلسطيني، وهناك ضرورة لإعادة حضور منظمة التحرير على الساحة الفلسطينية الداخلية والعربية والدولية، والحركة النسوية ترى بأن هناك ضرورة لإجراء الانتخابات، بغض النظر عن الواقع السياسي والعدواني الإسرائيلي، فهذه الانتخابات آلية ضغط على إسرائيل ووضع المجتمع الدولي أمام مسؤولياته وبهدف اطلاعه على من الذي يعيق العملية الديمقراطية في الشرق الأوسط، فأسطورة إسرائيل الديمقراطية يجب أن يتم هزها لأنها صورة مصطنعة.

س: هناك بعض التجارب المحدودة لعمليات استشهادية نفذتها بعض الفتيات الفلسطينيات والعربيات، ولم تتكرر بصورة واسعة ويبدو أن فصائل العمل الإسلامي لا تحبذ هذا التوجه، كيف تقرئين ذلك؟

جميله صيدم: النضال هو نضال الشعب الفلسطيني بكافة شرائحه، وعلى الحركة الإسلامية أن تستوعب مساهمة المرأة بشكل أوسع، ولكن ما زال ينظر للمرأة في داخل الأطر الإسلامية على أنها لا تصلح للمواجهة، علما أن هناك استشهاديات إسلاميات شاركن خلال الانتفاضة، هناك أعداد كبيرة من النساء والفتيات يتقدمن بطلب المشاركة في أعمال المقاومة ولكن القيادات السياسية تقف عائقا وحائلا دون مشاركة المرأة.

آمنه الريماوي: هناك فتوى إسلامية تحرم مشاركة المرأة في العمليات الاستشهادية وفي الماضي كانت المقاومة الفلسطينية لديها معسكرات تدريبية على حمل السلاح، وفي حينه شاركت المرأة في عملية التدريب على حمل السلاح والمشاركة في أعمال المقاومة.

دلال سلامة: العمليات الاستشهادية تمثل موضوع جدل كبير في المجتمع الفلسطيني سواء كان ينفذها رجل أم امرأة، فمنفذوها جيل شاب متحمس لا يرى إلا التضحية بروحه سبيلا للتحرير وللخلاص من الاحتلال، وهناك جدل حول الحدود الجغرافية لمثل هذا الشكل النضالي.

مها نصار: العمل الكفاحي للمرأة أخذ شكلا فرديا ولم يرتق إلى عمل منظم داخل إطار كفاحي، ففصائل العمل الإسلامي اجتهدت في العمليات الاستشهادية التي تنفذها المرأة وفق الرؤية الإسلامية، فالنهج الإسلامي حرم انخراط المرأة في العمل الاستشهادي، مرتكزا إلى قناعات مبدئية في الحكم، ولكن عند النظر إلى هذا الحكم بطريقة محايدة ترى أن هناك تمييزا ضد المرأة.

أمل خريشة: هناك مطلب واسع من قطاعات جماهيرية للاتجاهات الإسلامية بعدم تنفيذ عمليات استشهادية داخل الخط الأخضر، والاستمرار في النضال والمقاومة ضد الجنود والمستوطنين داخل الضفة وغزة، خاصة أن إسرائيل استفادت من الخطاب الإعلامي الأميركي الجديد، وربطت العمليات الفدائية الفلسطينية بالإرهاب الدولي، في محاولة منها لتصوير حركة التحرر الوطني الفلسطينية، على أنها حركة إرهابية، والعالم يعي جيدا أن القضية الفلسطينية ما زالت تشكل قضية تحرر وطني ضد الاحتلال الإسرائيلي، فالمرأة تشارك في جميع أشكال النضال الوطني، ولكن هذا يعتمد بالأساس على تكتيكات واستراتيجية التنظيم السياسي، كيف يريد أن يحقق أهدافه، وإسرائيل تتحمل المسؤولية في إيصال عدد من الفلسطينيين إلى مرحلة لا تفرق ما بين الحياة والموت.

س: الكثير من الأطر النسوية توجهت نحو العمل الأهلي والاجتماعي الداخلي، وغيبت الموضوع الكفاحي والمقاوم، هل هذا لأسباب خاصة بالتمويل أم لعجز تلك الأطر والبنى النسوية عن تفعيل دور المرأة الكفاحي بشكل عام، وماذا عن الأطر النسوية التابعة للفصائل الوطنية؟

جميله صيدم: المرأة تمتلك الرغبة للمشاركة الأوسع في العمل المقاوم، ولكن تواجه برفض الرجل المستمر باعتباره صاحب القرار وهذا دفع المرأة إلى العودة للعمل الاجتماعي لأنها تعتقد أن هذا العمل هو وسيلة نضال تدعم النضال المقاوم.

آمنه الريماوي: صحيح إن التمويل كان له دور في توجه المرأة نحو العمل الأهلي والاجتماعي الداخلي، وهذا جعل دور المرأة أسيرا للدول الممولة في قضية إشاعة الديمقراطية.

وأدى تحويل المنظمات الأهلية إلى مؤسسات مكتبية خدماتية، إلى ابتعادها عن قاعدة جماهيرية عريضة واسعة للمرأة الفلسطينية، هذا أدى إلى تدني استعداد المرأة للمقاومة

والنضال السياسي.

دلال سلامة: المشاركة في العمل الوطني والنضالي ذات أشكال متعددة، والمرأة بدأت تهتم بمؤسسات المجتمع المدني والقضايا الخدماتية. وهذه المؤسسات تتشكل بناء على احتياجات المجتمع، وتعمل على تأطير عمل المرأة بشكل ممنهج أكثر.

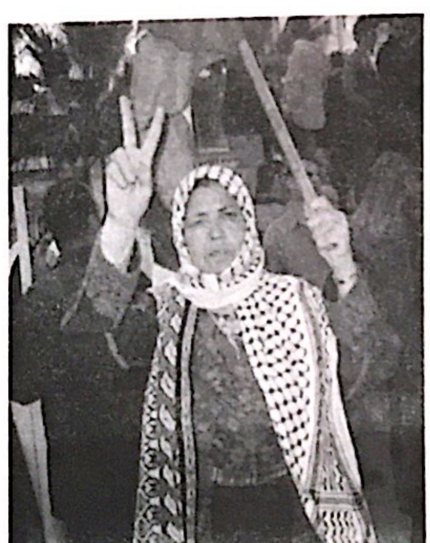
فالمؤسسات هامة ويجب النظر إليها بعين إيجابية. فالمؤسسات تحتاج إلى تمويل، ولكن ليس أي تمويل يمكن قبوله، خاصة إذا كانت هناك اشتراطات للتمويل. فالأولوية هي إعادة تشكيل وتوفير المأوى للنساء اللاتي هدمت منازلهن من جراء سياسة الإرهاب الإسرائيلي. فالتوعية والتنوير الفكري من شأنه أن يمكن فئات المجتمع المختلفة من إدراك حقيقة الواقع الذي يعيشون فيه وإدراك طبيعة معاناتهم. فالفلسطينيون والفلسطينيات قادرون على تحديد اولوياتهم خاصة أن الوضع الفلسطيني بالغ التعقيد والشعب يتعرض لمخاطر كبيرة تتمثل بشطبه من خارطة المنطقة.

مها نصار: الجهات الداعمة لم تدعم إلا تلك المشاريع التي تحيد دور المرأة في العملية الكفاحية، ولكن التجربة أثبتت أن المرحلة مرحلة بناء ومواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي، بناء الصمود والأسس المتينة للمقاومة للاستمرار بها، وليست مقتصرة على بناء مؤسسات. فالانتفاضة أكدت أن المواجهة والصراع مع الاحتلال ما زال قائما. لأن الأرض بقيت تحت الاحتلال، ولهذا ستدعى الأطر النسوية إلى صياغة برامج مرنة تتلاءم مع المرحلة. فالمقاومة تزعج أصحاب سياسة أوسلو. وتم استبدال العلاقة بالجماهير والقاعدة النسوية بالعلاقة عبر الاتصالات التكنولوجية كأساس للعمل.

أمل خريشة: هناك محاولة تهميش وتضييق لمشاركة النساء الواسعة في النضال الوطني كما أن ضعف الأحزاب السياسية أضعف المشاركة الوطنية في النضال ضد الاحتلال، فاقتصر العمل السياسي على الفريق المفاوض مما جعل المنظمات السياسية تبتعد من الانخراط والمشاركة في صناعة القرار. بعض الفلسطينيين وقعوا في وهم مقولة أن الدولة الفلسطينية على الأبواب، وتم تغييب مفهوم الاحتلال عن الأجندة اليومية، كهم مباشر وأولوية أساسية في الحركة المجتمعية. فالحركة النسائية ناقشت هذه القضايا في عام ١٩٩٤ و ١٩٩٥ عندما تم بلورة استراتيجيات للحركة النسوية، أشارت فيها إلى ضرورة الانتباه لمواصلة النضال والكفاح ضد الاحتلال. التمويل لعب دورا آخر في تهميش دور المرأة ولم يتم التركيز على تقديم الخدمات للنساء، ظنا من أوساط عديدة في الحركة النسوية بأن التمويل أصبح هو مهمة من مهمات السلطة الفلسطينية. فتم إغلاق رياض الأطفال وحلت محل تقديم الخدمات قضايا التوعية والتعبئة والتأثير والديمقراطية والتشريعات ولم تستطع السلطة الفلسطينية تقديم الخدمات للنساء، في الوقت الذي قام فيه الممولون الأوروبيون بتخفيض التمويل من موازنات المنظمات غير الحكومية لصالح السلطة الفلسطينية. وقامت بعض الجهات الممولة بالتلاعب في قضية خلق مزاج غير سلس في العلاقة ما بين المنظمات غير الحكومية والسلطة الفلسطينية. وكأن هناك صراعا يدور ما بين السلطة الفلسطينية والمنظمات غير الحكومية على مصادر التمويل. فالقيادة السياسية كان لها أثر كبير في عدم مشاركة النساء في العمل الكفاحي.

س: الأسيرات الفلسطينيات يشكلن نموذجاً طلائعياً. قياساً مع الحالة العامة للعمل النسوي. ما حدود الاهتمام بهذه الحالة النسوية الكفاحية. كيف يمكن قراءة وتعميم تجربتهن على الحالة النسوية الفلسطينية العامة؟

جميله صيدم: النساء في الحركة الأسيرة الفلسطينية سجلن أروع بطولات الصمود والتمسك بقوة بالأهداف الوطنية رغم تواجدهن داخل السجون الإسرائيلية، فالزنازين لم تمنعهن من التعبير عن إرادة الصمود والتحدي للاحتلال، فالمرأة الأسيرة تؤكد دائما على أنها لا تقل عن الرجل في هذا الشأن، وهي تثبت يوميا بأن دورها لا يختلف عن دور الرجل في العمل المقاوم والمناضل، وأصبحت المرأة تتحمل عذابات



السجون الإسرائيلية، فالأجيال ستأخذ العبرة والمثل من الأسيرات الفلسطينيات، اللواتي يسطرن أروع آيات الصمود، رغم استخدام جميع وسائل الإرهاب ضدهن، وحرمانهن من ضرورات الحياة، لذلك فهن يمثلن الصورة المشرقة للمرأة الفلسطينية.

آمنه الريماوي: الاهتمام بالحركة الأسيرة فيه جزء من التواني «وطنيا وسياسيا» ومن وضع قضية الأسرى على جدول أولويات عمله هم أهالي الأسرى والأسيرات أنفسهن، وهناك تدن في نمط العلاقة ما بين مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية بخصوص قضية الأسيرات الفلسطينيات، وفي السابق كان هناك شكل نضالي مميز ونموذجي للأسيرات في داخل السجون الإسرائيلية، ولكن اليوم هناك بعض الأسيرات يعانين من أسيرات أخريات في داخل السجن.

دلال سلامة: قضية الأسرى يجب مواصلة متابعتها خاصة إذا كان عدد الأسيرات في السجون الإسرائيلية حوالي ٨٠ أسيرة، ومنهن فتيات قاصرات، فالاهتمام بالأسرى والأسيرات على المستوى الرسمي والشعبي يعتبر جزءا من العمل النضالي والوطني، فعلى المؤسسات أن تدعم الأسرى والأسيرات في مطالبهم بالحرية والاستقلال، والمطالبة بالإفراج عنهم هو جزء هام من العمل الوطني، ويجب تلبية احتياجات أهالي اسر الأسيرات، فالأسيرات وأهاليهن بحاجة إلى تواصل معهم أكثر مما هو قائم حاليا، وعدد الأسيرات يعطي انطباعا بأن هناك حاجة لتدعيم موقف أي امرأة بسبب دخولها ميدان العمل الكفاحي، وعلى الفلسطينيين أن يتحملوا المسؤولية تجاه الأسيرات من خلال رعاية الأهالي بالإضافة إلى التواصل مع الأسيرات، فعدم التواصل معهن ينعكس سلبا على نفسية الأهالي، كما يجب العمل على المستوى الدولي وإثارة موضوع الأسرى والأسيرات لإطلاق سراحهم خاصة الأطفال والقاصرات.

مها نصار: الأسيرات الفلسطينيات من الجيل الشاب الذي يتحمل مسؤولية عملية التغيير في المستقبل، لذا ينبغي الاعتناء بهموم الأسيرات وتدوين تجربتهن بالأسر «السجون الإسرائيلية» بهدف استخلاص العبر. وكيفية تحويل الفتاة من انسان عادي إلى فتاة تمارس العمل الكفاحي على أن تقوم الأطر النسوية بتوفير الحضن الدافيء للنساء المناضلات.

أمل خريشة: السجينات الفلسطينيات كالسجناء الفلسطينيين يعانين من انتهاكات إسرائيلية صارخة لحقوقهن، بدءا من زيارة الأهالي والمحامين، بالإضافة للاعتقالات الإدارية بدون محاكمة، وعدم تقديم حاجات

السجينات الأساسية، فالفاشية الإسرائيلية أسقطت بشكل مكثف على السجينات والمساجين، وتعمل المؤسسات الاجتماعية على تنظيم زيارة المحامين للسجينات والمساجين للإطلاع على أوضاعهم الصحية والمعيشية، ويتم إرسال التقارير عن أوضاع الأسرى والأسيرات لوسائل الإعلام وللمنظمات الحقوقية العالمية، بهدف إثارة قضيتهم ووضع ملف الأسرى والأسيرات كقضية أساسية في أي مفاوضات أو أي حوارات سياسية مع الجانب الإسرائيلي.

س: كانت هناك مجموعات فدائية دخلت الحدود وقامت بعمليات مختلفة على مدار سنوات العمل الكفاحي الفلسطيني، برأيك لماذا لم تكن هناك حالات نسوية واضحة في هذه التجربة ولماذا اقتصر النموذج على تجربة دلال المغربي، أو بمشاركة مجموعات فدائية فيها أيضا رجال؟

جميله صيدم: الظرف السياسي العام والدولي في المرحلة الراهنة اصبح عاملا يعيق النساء عن خوض العمل الكفاحي المباشر، واليوم يتم التعامل مع الموضوع الكفاحي على خلفية الالتزام بمسيرة السلام، ففي السابق كانت حركة المقاومة تواجه قوى الاحتلال بشكل مباشر، كما كانت مشاركة النساء أوسع وأكبر، اليوم عملية السلام فرضت على المرأة عدم التفكير بعمق في العمل الكفاحي المقاوم.

آمنه الريماوي: هناك تدن في الاهتمام الوطني العام بتنفيذ عمليات فدائية ومقاومة عبر الحدود عند المرأة والرجل، فالاتفاقيات الثنائية التي وقعت ما بين الدول العربية والحكومة الإسرائيلية أغلقت الحدود أمام المقاومة الفلسطينية.

دلال سلامة: الثقافة السائدة تتيح هامش عمل أكثر للرجل منه للمرأة، فحرية التحرك والتعرف على الواقع المحيط، قضية المعرفة وإدراك الواقع ضرورية جدا، الرجل تفتح له الأبواب للتعرف على الواقع ولديه فرصة للحصول على المعلومات بحكم حرية تنقله، هذا غير متاح للمرأة، بحكم تحركاتها المضبوطة من قبل رب الأسرة، فهامش الحركة المتوفرة للمرأة هو أقل مما هو متوفر للرجل.

مها نصار: العامل الاجتماعي لعب دورا في اقتصار التجارب على عدد محدود من النساء، فإذا توفرت للمرأة إمكانية الانخراط في المقاومة، فهي قادرة على تنفيذ هذا العمل بدقة متناهية، ولكن المعيقات الاجتماعية تقف أمام قيام المرأة بهذا العمل الكفاحي، فالمجتمع لا يعترف بدور المرأة إلا بعد أن تصبح نموذجا، وهناك من يتعامل مع النساء الأسيرات وكأنهن لم يقدمن شيئا للوطن، فالضغوط تمارس على المرأة بعد اعتقالها أكثر مما كان قبل الاعتقال، رغم تسجيلها لحالات بطولية، فالعامل الاجتماعي يعرقل مشاركة المرأة في العمل المقاوم.

أمل خريشة: النساء شاركن في كافة أشكال النضال، ومنه المسلح، أثناء معارك بيروت، وهناك محدودية في مشاركة النساء بالكفاح المسلح والعمليات العسكرية لأسباب عديدة ابرزها الأعباء الاجتماعية والمفهوم الذكوري داخل الحركة السياسية الذي يقول أن دور المرأة هو دور إسنادي وليس دورا طبيعيا مبادرا، وهذا يعكس مشكلة في مفهوم المساواة، ولكن النساء يخرجن ويواجهن المجنزرات والجرافات الإسرائيلية، فالمرأة تمتلك القدرة فيما لو كان هناك توجه حقيقي مدروس وواضح المعالم للمقاومة المسلحة، فالمشكلة تكمن في العقلية الذكورية وفي مفهوم العمل المسلح نفسه في ظل عدم وجود ظهير من الدول المجاورة لفلسطين.

س: ما هي رؤيتك المستقبلية لدور وعمل المرأة في العمل الكفاحي في ضوء استمرار الاحتلال الإسرائيلي ودخول الانتفاضة عامها الرابع؟

جميله صيدم: إسرائيل تستمر في سياستها التعسفية من خلال مواصلة البناء في السور العازل الذي ابتلع واقتطع مساحات كبيرة من المدن والقرى الفلسطينية كما أنه ابتلع جزءاً كبيراً من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، وإسرائيل تواصل ملاحقة الرموز والقيادات الفلسطينية وتواصل سياستها الإرهابية ضد الأسرى والمعتقلين في داخل السجون الإسرائيلية، هذا سيدفع الشعب الفلسطيني إلى المزيد من الصمود ومواصلة الكفاح والمرأة جزء لا يتجزأ من عملية النضال الفلسطيني المستمر، وفي هذا العام الرابع للانتفاضة ستشهد المنطقة أعمال تصعيد أكثر، لأن الشعب الفلسطيني صبر وأعطى الفرص للسياسيين في العالم بأن يعملوا على حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهناك اعتراف دولي بأن يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية واستقلاله، ولكن التعنت الإسرائيلي المدعوم أمريكيا سيدفع المرأة الفلسطينية والشرائح المجتمعية إلى الانخراط الأوسع والأكبر في خندق المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، فإذا بقيت إسرائيل متصلبة في مواقفها فان هذا سيدفع الشعب الفلسطيني إلى تصعيد النضال والكفاح وسيكون للمرأة دور بارز في العمل المقاوم والكفاحي.

آمنه الريماوي: بما أن قمع الاحتلال الإسرائيلي يتصاعد، فالرد الطبيعي يتمثل في تصعيد أعمال المقاومة الفلسطينية من المرأة والرجل، خاصة أن المرأة تعاني اكثر بسبب اعتقال زوجها وابنها وشقيقها، أو استشهادهم وتعطلهم عن العمل بسبب الحصار الخانق ومصادرة الأراضي التي تدر دخلا ماليا للأسرة، فالضغط العالي على المرأة الفلسطينية سيؤدي إلى انفجارها وإلى مشاركتها بجدية في المقاومة.

دلال سلامة: إذا أردنا أن نتحدث عن الإسراع بعملية تحرير الأرض وإنهاء الاحتلال، فعلينا أن نهيىء كافة القوى والمؤسسات على أن يتم تطويرها باتجاه إدراك أهمية المشاركة والعمل على تلبية احتياجات الشرائح المختلفة وإعطاء المساحة للمشاركة، فمشاركة المرأة والعمل معها يجب أن يكون في إطار توعية وتنوير لفكرها، هذه قضايا تخرج المرأة من بوتقة التلقي، فعلى المرأة أن تكون عنصرا فاعلا في المجتمع بأشكال مختلفة، وهذا يدفع المرأة لوضع جهدها في بوتقة العمل الكفاحي من أجل إنهاء الاحتلال، فالاحتلال له تأثيرات سلبية على حياة المرأة الفلسطينية، وعلى المرأة أن تلتحق بالأحزاب السياسية، كما أن على الأحزاب أن تولي أهمية للمرأة وتعزز مشاركتها الحقيقية في صناعة القرار السياسي.

مها نصار: على المرأة الفلسطينية أن تمارس كافة أشكال النضال الوطني وعلى القوى والأحزاب السياسية أن تشجعها وتبني الهياكل الضرورية لضمان تنظيم العمل المقاوم، فمستقبل العمل الكفاحي النسوي مرتبط إلى حد كبير بالعمل الوطني العام، وعلى الأحزاب السياسية أن تستثمر ردات الفعل النسوية الغاضبة والمتحدية للاحتلال الإسرائيلي، فاستثمار ردات الفعل يجب أن يكون بعمل منظم وليس فرديا وهذا ما يعطي صورة نموذجية للمرأة ويؤكد على طبيعة دورها المستقبلي.

أمل خريشة: دور العمل الكفاحي للمرأة يكون بالأساس عبر الحركة النسوية ومنظمات المجتمع المدني، تنظيم التظاهرات الاحتجاجية واستمرار العمل المقاوم بأشكال مختلفة ضد الاحتلال، فعلى النساء أن ينتظمن في حركة سياسية مطلوب منها أن تعمل على حل أزمتها الداخلية واستقطاب النساء والرجال ليكونوا أعضاء فيها من أجل تقوية دورها وإعادة بناء الثقة ما بين الحركة السياسية والمرأة الفلسطينية، وهذا هو جوهر الإصلاح الداخلي، فالتحديات التي تواجه الفلسطينيين كبيرة وهذه التحديات تستدعي النهوض بالطاقات النسوية والذكورية لمواجهة الهجمة الإسرائيلية ولوضع النساء والرجال الفلسطينيين أمام مسؤولياتهم.

حفل تأبيني
للشهيد المناضل صابر محي الدين
في دمشق

بدعوة من اتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين «فرع سورية» أقيم حفل تأبيني بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد الرفيق المناضل والكاتب السياسي صابر محي الدين مساء يوم الأحد الموافق ٢٠٠٣/١١/٢ في قاعة المركز الثقافي العربي في المزة بمدينة دمشق.

وقد حضر حفل التأبين عدد من الشخصيات الوطنية الفلسطينية والسورية، وأصدقاء الشهيد من الكتاب والمثقفين.

وبعد الوقوف دقيقة صمت على روح الشهيد وكافة الشهداء، ألقيت في الحفل عدة كلمات بهذه المناسبة، قدم لها عريف الحفل الأستاذ سعيد البرغوثي بكلمات وجدانية مؤثرة.. وفيما يلي نص الكلمات:-

كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ألقاها الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة:

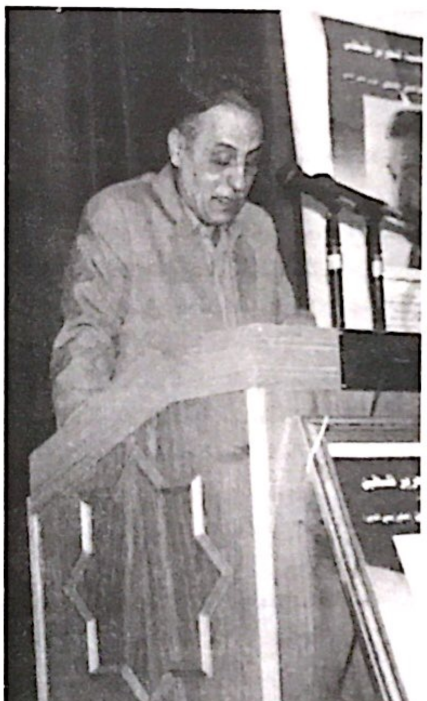
الأخوة والرفاق.. أيها الحضور الكريم:

نقف اليوم وقفة اعتزاز ووفاء في حفل تأبين رفيقنا الكاتب الإنسان، والمناضل، الشهيد الإعلامي البارز، صابر محي الدين، الذي قدم نموذجاً صادقاً في الحياة الثقافية والسياسية، وترك آثاراً بالغة في المشهد الإعلامي والسياسي والنضالي الفلسطيني والعربي.

إن المناضل الشهيد صابر محي الدين جمع صفات متعددة ونادرة في شخصيته الممتلئة بالطيبة والمحبة والشفافية، شخصية نقية طاهرة ذات ملامح هادئة، نقف اليوم لنستعيد ذكراه، ونجدد العهد للشهداء على المضي قدماً في مسيرة الكفاح.. مسيرة المقاومة والانتفاضة.

نتذكره وتأخذنا معاني الرحيل.. معنى الوطن الذي ناضل من أجله الشهيد صابر، ومعنى أن تعيش منفياً، ومعنى أن تكون فلسطينياً وقومياً عربياً وأممياً.

أن تكون مناضلاً محارباً من أجل فلسطين، وكل هذه المعاني كانت برفقة صابر في سيرته ومسيرته النضالية... رحل ومعه صفات المناضل الثوري، وأكد في كتاباته عمق ومعنى الهوية الفلسطينية العربية، أظهر دوماً أن



الرفيق أبو أحمد فؤاد

للفلسطيني وطن اغتصبه الغزاة، كما أظهر أن للفلسطيني هوية وجذور تاريخية عربية، فكتب عن الانتفاضة والمقاومة والقضية، وقبل رحيله بأسبوع انتهى من كتابة دراسة بعنوان «الانتفاضة على أبواب عامها الرابع».

الآن صابر محيي الدين في حضرة الذاكرة، يسكنني هذا الإنسان المتألق في فضاء مشرق، فهو لن يفارقنا، بل إنه حاضر بفعله النضالي والإنساني الخالد، بإرثه وتراثه الوطني الذي تركه لفلسطين ولشعبه، حتى نكاد نسألك يا صابر نحن رفاقك: لماذا غادرتنا مبكراً؟ لماذا يرحل أصحاب الأثر الكبير بسرعة، وهكذا كان إحساسنا عندما رحل الرفاق الشهداء الأديب غسان كنفاني والقائد الشهيد وديع حداد وباسل الكبيسي وجيفارا غزة والقائد الشهيد ابو علي مصطفى وأبو أمل وشحادة غنام والشهيد القائد ربحي حداد وآخرين كثر قضوا في مسيرة الثورة، وهنا قد لا يتسع الوقت لأتحدث عن صاحب الإرث النضالي بشمولية، وهذه مهمة متروكة للدراسات، وكتابة السيرة التي كتبها ويكتبها شعبنا الفلسطيني بالدم والتضحيات، وسأختصر الحديث بالتذكير في بعض المحطات من سيرته النضالية، وأنا كما عرفته وعايشت تجربته الكفاحية، فإنه قائد ومفكر سياسي تعجز عن وصفه الكلمات، ولكن باستطاعتنا أن نصفه كما هي الحقيقة بأفعال... إننا أمام إنسان قبل أن يرحل قدم جهوداً عظيمة وكبيرة للجبهة الشعبية والثورة الفلسطينية. أعطى الكثير في سبيل قضيته الوطنية، كان يعمل على طريقة جلد الذات، لا يرتاح حتى وهو يعاني مرض القلب، يتابع ويتواصل مع المهام الملقاة على عاتقه، إننا أمام مناضل ذو عقل متوقد، يعمل على تأمل العالم من حوله والمتغيرات العاصفة بالمنطقة، يكتب ويحلل ويرى بأفق استراتيجي، يتأمل العالم والظروف الصعبة المحيطة بقضيته الفلسطينية، مثلما تأملته المأساة الفلسطينية واختارته ليكون مناضلها والناطق باسمها وممثلاً لصوتها، واختاره القدر كاتباً مفكراً مدافعاً عن الحقيقة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني.

كان مناضلاً في صفوف حركة القوميين العرب وناشطاً مفعماً بالحيوية عندما كان طالباً جامعياً مع بداية انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، ومناضلاً صلباً في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويحمل على عاتقه مسؤوليات كبيرة، لم يختر

طريقة العيش المرفهة، بل كانت ذاته تعمل من أجل الجماعة التي تعيش مأساتها، فكان إلى جانب شعبه مقاوماً الاحتلال الصهيوني وفظاعة المجازر التي ترتكبها العصابات الإرهابية الصهيونية، كان يمقت صلف القوة الإسرائيلية المتغطرسة المدعومة من الغرب الاستعماري الأمريكي، ويعد مع رفاقه طريقاً للمواجهة، طريق المقاومة، هذه القوة الإسرائيلية التي قامت، منذ ما قبل عام ١٩٤٨م، وما زالت تقوم بحرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني، قاومها الشهيد صابر إلى جانب شعبه واختار طريق المواجهة والمقاومة كأسلوب أملاه واقع النكبة وهزيمة ١٩٦٧ القاسية على الشعب الفلسطيني، وعمل صابر من أجل تغيير هذا الواقع المؤلم وتحويله إلى واقع نهضوي ثوري، وذلك من خلال استنهاض الوعي الجماهير والفكري والسياسي والثقافي، من خلال الكتابة والتعمق في تحليل الرؤية السياسية، وكان يصوغ الموقف السياسي في مجلة الهدف عندما كان رئيساً لتحريرها مثلما يعبر عن مكنونات الذات، يعبر بطريقته عن الرؤية السليمة للجبهة في مشهد الصراع، فكان الناطق الإعلامي باسم الجبهة الشعبية ومكتبها السياسي، وليس من المبالغة القول أن الشهيد صابر عندما كان رئيس تحرير مجلة الهدف استطاع أن يجعل هذا المنبر الإعلامي والثقافي منبراً يشع نوراً وضياء للحوار الفكري والسياسي، فالتف حوله الكثير من الكتاب والمفكرين العرب، وكانت فترة نهوض ثقافي شهدته مجلة الهدف في تلك المرحلة.. وكانت أجواء النهوض أكثر فعالية مترافقة مع بداية انتفاضة الحجارة الأولى عام ١٩٨٧، كانت مهمته تقوم على كشف الحقيقة الفلسطينية، وهو ممن أجاد معرفة الطريق لهذا الاكتشاف، وبفعله النضالي وجهوده الفكرية والإعلامية خرج صدى الصوت الفلسطيني في أمكنة كثيرة عربية وعالمية، وذلك عبر صفحات مجلة الهدف التي كان نجمها الرفيق صابر محي الدين.

إن حياة الشهيد صابر محي الدين كانت ذات قيمة مثلى تختصر الزمن، ليس من أجل تحقيق ذاته، بل من أجل الجماعة، فقد منحنا في نصوصه الحياة، وبرحيله المبكر والمفاجىء فإننا نتألم، نتجاوز صدمة هذا الرحيل قبل أربعين يوماً حين توقف قلب صابر محي الدين.

كل شيء يدفع إلى اليقين أن الشهيد الرفيق صابر محي الدين الذي كان له حضوره السحري ليس فقط بين رفاقه وأصدقائه ومحبيه، بل أمام الموت الذي باغته، كان يذهب إلى الكتابة



بوصفها ملجأ ومتراساً، وكانت رفيقة دربه زوجته قد ساعدته في تجاوز المحنة عندما أصابه المرض قبل ثلاثة عشر عاماً، وكانت إلى جانبه تمده بطاقة المعنويات، كما ولديه طارق وغسان، كان حضورهم إلى جانبه يخفف عنه الألم والمرض، وكذلك أصدقاؤه ومحبيه جميعاً عملوا لراحته، وتهيئة الأجواء المعافاة والمناسبة له، فواجبنا أن نتقدم بالتحية الكبيرة لرفيقة دربه زوجته المناضلة الدكتورة هناء العلمي.

نتذكر صابر الذي أنجبته سيلة الحارثية، عندما سافر قبل سنوات إلى جنين ورام الله وتجول في أرجاء الوطن، ليعود منفياً، كان ينتظر العودة ويكتب عنها ولها، وعودة اللاجئين

الأستاذ سعيد البرغوثي



الفلسطينيين، فكان هاجسه موضوع العودة والانتفاضة، ولم يفرح برؤيته كتابه الأخير، فقد صدر بعد استشهاده بأيام.

صابر محي الدين مثقف ومناضل يتقن قراءة الواقع والأحداث الكبيرة، وينشد بتفكيره إلى الرؤية الاستراتيجية في بعديها الوطني والقومي، يقرأ ويحلل الواقع المشخص ويرى مستقبل الانتفاضة والحركة الوطنية الفلسطينية والمقاومة البطلة، يغني برؤيته المستقبلية النقاشات الدائرة حول قضايا المجتمع الفلسطيني والانتفاضة، وكان فيه شفافية وجرأة المثقف التقدمي، ولديه البصيرة السياسية، ويمتلك ذكاء الإحساس وعمق الوجدان والضمير. وكان مسكوناً بفلسطين، وطالما فلسطين سكنته إلى هذا الحد فلن يموت وسيبقى حياً في الذاكر الوطنية الفلسطينية، يعشق القلم والكتابة كما يعشق الحرية، وحتى الساعات الأخيرة يكتب، ولأن صفات الإنسان أعظم من قدرات العدو الصهيوني على القهر والتدمير والقتل، فإن البوصلة إلى الحقيقة كانت هاجس صابر محي الدين التي كان مدافعاً عنها.

أيتها الأخوات أيها الأخوة

تمر قضيتنا الوطنية بوضع صعب وخطير، فالعدو الصهيوني يمعن بالقتل والتدمير، بدعم وإسناد يصل على حد المشاركة الفعلية من قبل الإدارة الأمريكية اليمينية المتصهينة، وشعبنا العظيم يتصدى بإرادة وعزيمة لا تلين، فالمقاومة مستمرة والانتفاضة مستمرة، وقد دخلت الانتفاضة الباسلة عامها الرابع مسجلة العديد من الإنجازات والانتصارات، لقد جعلت

العدو يعيش مأزقاً حقيقياً وعميقاً على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والأخلاقية والأمنية. لن يكون لهؤلاء الغزاة أمناً أو استقراراً في وطننا مهما بلغت التضحيات...

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد رفضت السياسات المتبعة من قبل القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، لأن هذه السياسات جرت الويلات والمصائب على الشعب الفلسطيني، ولم تحقق أي إنجازات أو مكاسب لهذا الشعب المناضل، بل فتحت شهية العدو لفرض المزيد من التنازلات والاملاءات عليها، فمن مدريد إلى اتفاقات أوسلو، ثم خارطة الطريق ثم اتفاق سويسرا المزمع عقده على قاعدة تقديم المزيد من التنازلات وفي مقدمتها التنازل عن حق العودة.

لذا إن الجبهة الشعبية وقوى المقاومة الفلسطينية ترفض رفضا قاطعا هذه الاتفاقيات وكل ما يترتب عليها، وتصر على استمرار الانتفاضة والمقاومة حتى تحقيق الدولة الفلسطينية للشعب الفلسطيني وعاصمتها القدس.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدعو جميع القوى الفلسطينية إلى تعزيز الوحدة عن طريق تشكيل قيادة وطنية موحدة تضم جميع الفصائل والقوى والفعاليات الفلسطينية، ببرنامج سياسي يأخذ بعين الاعتبار القواسم المشتركة على قاعدة استمرار الانتفاضة والمقاومة. وترتيب أوضاع البيت الفلسطيني على أسس سليمة. والإعداد لانتخابات ديمقراطية داخل الوطن وخارجه على طريق إعادة بناء مؤسسات م. ت. ف. على أسس ديمقراطية.

من هنا يأتي موقف الجبهة بعدم المشاركة في الحكومة، وكذلك عدم الموافقة على الهدنة.

أيتها الأخوات أيها الأخوة

إن الأمة العربية قد أصبحت تعاني من الاحتلال لبلدين عربيين. بعد أن كانت تعاني من احتلال بلد واحد، فلسطين.. فالعراق اليوم جرى احتلاله ظلما وعدوانا. فالهدف معروف تحقيق مكاسب اقتصادية بالسيطرة على النفط، وحماية الكيان الصهيوني، وتهديد كل من يعارض السياسة العدوانية الأمريكية، ولكن الشعب العراقي العظيم جعل هذا العدو يدفع ثمن عدوانه وجرائمه، ولن يسمح للولايات المتحدة وحلفائها من تحقيق أي هدف من أهدافها. وسيفرض عليهم الرحيل من خلال تصعيد مقاومته بأشكالها المختلفة وفي مقدمتها الكفاح المسلح.

إن ما يجري في العراق ثورة بكل معنى الكلمة، وسنشهد خلال فترة قصيرة قادمة مقاومة باسلة من كل الشعب العراقي في الشمال والجنوب وفي كل بقعة من أرض العراق.

إن مسؤولية كل العرب وخاصة القوى الوطنية والقومية والتقدمية دعم وإسناد المقاومة العراقية بكل أشكال الدعم، بما في ذلك المشاركة بالدم.

كلمة الدكتور جورج حبش ألقتها الرفيقة ليلى خالد:



الرفيقة ليلى خالد

الأخت العزيزة د. هناء، الأعزاء طارق وغسان آل محي الدين والعلمي الكرام

الأخوة والأخوات، الرفيقات والرفاق الأعزاء

أيها الحضور الكريم:

نلتقي اليوم إحياء لذكرى مرور اربعين يوماً على رحيل القائد المناضل صابر محي الدين، بين الاندهاش والصدمة، أجد نفسي مذهولاً بالسؤال، هل فارقنا الرفيق الصديق أبو طارق فعلاً؟ هل غابت عنا تأملاته وافكاره وكلماته ومواقفه؟ أكاد لا أصدق ما حدث. قد يكن صديقك أو رفيقك مصاباً بمرض ما قد يؤدي إلى وفاته في لحظة متوقعة، لكن ذلك لا يحول دون الألم الذي يعتصر قلبك عندما يبلغك النبأ بالغياب الأكيد.

يعتصر الألم قلبي لأن صداقة ومحبة ربطتني بصابر، ما يزيد عن ثلاثة عقود. فلم يكن صابر بالنسبة لي مجرد رفيق، بل هو الابن والصديق، فقد خسرت بغيابه كل ذلك. وخسرت القضية والجبهة بفقدانه مناضلاً فذاً، مفكراً قوياً يدافع عنهما بكل ما يملك من قوة فكر ونفاذ بصيرة، صابر أنت خسارة للقضية أولاً، وخسارة للجبهة ثانيا، وخسارة لكل من عرفك في ساحات النضال ومعتركات السياسة.

رغم أن الموت نهاية طبيعية وحتمية لكل كائن حي، فمن المنطقي أن لا نستغرب غياب بعض الأحباء والأصدقاء، الأهل والأبناء، وان لا نؤخذ على حين غرة إذا غابوا عنا. ولكن ماذا نقول لمن غيبهم الموت، وهم في ذروة عطائهم الثوري والنضالي والفكري، ولكن لم يعطوا الفرصة، ولم يمهلوا، فلم يعطوا الحياة كل ما عندهم، ولم يأخذوا منها كل ما يستحقون. كانوا يحلمون بالغد، وينتظرون الغد الأفضل لكي يعطوا، ويفعلوا أقصى ما يستطيعون، ويقدموا أغلى ما يملكون رحيق روحهم وعقلهم الثقافي والفكري، فأنت يا صابر واحد من هؤلاء، لا بل أنت كنت دائماً مع الطليعة في المقدمة.

انت صابر الإنسان، وأنت صابر القائد، والمفكر الوطني الكبير. فأن يكون الإنسان إنساناً في ظروف كالتي نعيشها والتي تفتقد لمقوماتها الأخلاقية، وما نشهده من صمت مطبق، عالمياً وعربياً، أمام مشهد شعب يذهب به الاحتلال إلى الجلجلة، عبر المجازر والمذابح اليومية فهذه ميزة، أن تكون مفكراً، حليماً في زمن بات الوطن فيه سلعة للمقايضة عند البعض، فهذا أمر ينطوي على شأن عظيم وكبير، بل ورائع. أن تكون دمثاً عطوفاً محباً في زمن فيه بورصة العواطف والأحاسيس في تدنٍ متواصل، إنها العظمة بحد ذاتها.

رغم أن الفقدان، أي فقدان لصديق أو رفيق عزيز، هو حالة مادية وإنسانية وشعورية، لا يمكن لأحد أن يقدر مقدار عمقها إلا لحظة وقوعها. وها نحن يا صابر، نعيش حالة الفقدان هذه، ونحن نطوي مشاعرنا محملة بالفجيعة والمرارة.

كان صابر يوظف أوجاعه الصغيرة أو الكبيرة أفكاراً، أحلاماً، ومواقفاً لمعالجة أوجاع الوطن والقضية، وبقي رغم الانحسار والحصار موشحاً بوشاح الوطن، ووشاح الجبهة والقضية، فهو ذاكرة الوطن والقضية الخصبة. التي لا تنضب، هكذا هم الثوريون الشرفاء الذين صقلتهم تجربة النضال الوطني الفلسطيني عموماً، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خصوصاً، لأنهم يضخون من نبضات قلوبهم المرهقة حتى الاستنزاف في شرايين القضية دماً في زمن أحوج ما تكون فيه القضية إلى الفكر والعمل وإرادة النضال.

صابر يغادرنا في الزمن الفلسطيني الأصعب، وربما الأخطر، حيث تتواصل المجازر والمذابح اليومية ضد شعبنا في رفح وكل الأراضي الفلسطينية المحتلة، مترافقة مع

سياسة تدمير البيوت وتهجير أهلها ومع كل محاولات تمرير مؤامرات الذبح السياسي لقضيتنا على طريق شطبها.

في ذكرى أربعين الرفيق الغالي صابر محي الدين من الصعب علينا اختصار هذا المناضل الفذ بموقف أو مواقف سياسية، رغم أن السياسة كانت أهم مفرداته اليومية، وذلك لأنه قدم نموذجا كيف يكون المثقف فارسا وحالما ومناضلا وإنسانا، فهو الرجل الذي مزج باقتدار بين براعة الخطاب السياسي وغنى الخطاب الثقافي، بالتزاوج مع تجربة ثرية وغنية يتكىء عليها في قراءة واقع المقاومة والقضية والانتماء السياسي.

صابر أنت بالنسبة لرفاقك، وبالنسبة لي على وجه الخصوص، عصي على الموت، وإن كان قد حدث، فإن غادرتنا جسدا، فلن تغادر قلوبنا وعقولنا فكرا وروحا، فقد أمسكت بنا بما لك وما عليك من مناقب، وبما لك علينا وعلى الحياة من فكر ومواقف، كنت قائدا حقيقيا، ومفكرا مبدعا وعميقا، احتللت موقعيك في القيادة والفكر بجدارة واستحقاق، مكللة بمسيرة عقود من العطاء والنضال، والتي لا تختزنها الكلمات أو الصفحات.

خارطة فلسطين يكتبها اليوم شهداء فلسطين، وتغذيها دماؤهم الزكية، وعندما يصبح الوطن كلمة، رصاصة، وتضحية وشهادة، يكون صابر قد خرج من فلسطين، وعاد إليها شهيداً.

وأخيراً أوجه لك، ولكل شهداء فلسطين الأبرار تحية إكبار وإجلال، وسنبقى جميعاً أوفياء للمبادىء التي آمنا بها جميعا.

ولك تحية رفاقك في مركز الغد العربي للدراسات، الذي شاركت أنت بتأسيسه، وكلنا يطمح أن يصبح هذا المركز المنارة الثقافية والعلمية التي تضيء دروب الأجيال القادمة.

كلمة آل الشهيد.. ألقتها زوجته الدكتورة هناء العلمي

الأخوة والأخوات

أيها الحضور الكريم....

شاء القدر أن نلتقي في مناسبة تأبين الشهيد صابر، كما شاء القدر أن نلتقي مكللين في ثياب الحداد على رحيله.

الشهيد صابر الإنسان والأب والزوج ورفيق الدرب، تركنا فجأة وكانت فاجعة الرحيل وصدمتها الصعبة.

انتظرناك كي تعود يا صابر إلى البيت، وكعادتك محملاً بأوراق وكتب، محملاً بالمهام والهموم الوطنية.. انتظرناك أنا والأبناء طارق وغسان، كي تعود إلى مكتبك وطاولتك التي تركناها كما هي، عليها أوراقك ومشروعك الكتابي والدراسات، التي لم تكن قد انتهيت منها بعد.



السيدة هناء العلمي

طاولتك كما هي، أنظر إليها كل صباح وكل ساعة، وأراك تجلس خلفها، تفكر وتكتب، لا نريد أن نقطع هدوءك الصامت، تكتب وتنسى ذاتك المندمجة حد التطابق مع الكتابة.

كانت الكتابة ملجأ صابر، ومتراسه الذي منه يرى الحياة أبهى وأجمل، وكما عرفته كان يستمر في الكتابة حتى وهو في ظروف صحية صعبة.

انتظرناك طويلاً في البيت كي تعود، وعدت إلى حيث النهاية.. إلى مثواك الأخير.. وتلك كانت أصعب اللحظات، أن نراك في المشهد الأخير.

عدت مع أكاليل الزهور، محملاً في نعش الشهادة، ملفوفا بعلم فلسطين، كما يعود أبطال التراجيديا من رحلتهم ومشوارهم، لتعانق الشهداء الأبطال في فلسطين، شهداء المقاومة والانتفاضة.

نفتقدك يا صابر في كل لحظة.. تفتقدك المكتبة والكتب والأوراق.. تفتقدك القضية الفلسطينية.. هي في أمس الحاجة إلى أمثالك، افتقدناك، ولكن أنت كما أنت حاضر في مشاعرنا وأحاسيسنا، وخطواتنا وتفكيرنا... حاضر بقوة في الوجدان وفي القلب، وحاضر لدى رفاقك وأصدقائك ومحبيك، الذين حزنوا على رحيلك.

كان صابر في حياته يمثل صورة نادرة عن الإنسان المثقف والمفكر والمناضل، وفي حياتي جسد صابر صورة الإنسان بصفاته الإنسانية الفريدة، وجسد الصفات الجمالية كلها، مثلما نذر حياته كي يكون عطاؤه للناس وللقضية غير محدود، كان يعمل بصمت بعيداً عن الأضواء والاستعراض. وأحبه الناس والرفاق والأصدقاء بسبب تواضعه ومثاليته العالية.

كان صابر بالنسبة لنا يمثل الأمل في كل شيء.. الأمل في الحياة وفي استمراريتها، وعندما ذهب إلى داخل فلسطين، شكل عندي أمل العودة إلى الوطن، وأصبحت أقرب إلى حلم العودة، ولكن لم تطل إقامته في رام الله وجنين ومسقط رأسه سيلة الحارثية، كنا سنستعيد معه ما فقدناه طيلة عشرات السنين، نستعيد وطناً نسافر إليه كل يوم، ولا نصل، كما كان هو يستعيد ذكرياته وذاكرته مع الوطن.

انتظرناك طويلاً يا صابر كي تعود بنا من المنفى، وتعيدنا إلى الوطن، وكنت تعمل من أجل ذلك، وها أنت اليوم رحلت، ولكن تركت لنا حلم العودة الذي سيتحقق يوما، من خلال صمود أهلنا في الوطن المحتل.. من خلال الانتفاضة والمقاومة الباسلة، التي كتبت الكثير من الدراسات عنها. وقبل رحيلك بأيام كانت الانتفاضة تدخل عامها الرابع، وأبيت إلا أن تكتب عنها، وكنت تسابق الموت وكتبت عنها ودخلت أنت مع الانتفاضة عامها الرابع.

كانت الانتفاضة هاجس صابر الذي لا يفارقه، كانت تشغل تفكيره، فيكتب بدافع الأمل.. الأمل في الانتصار على كل ممارسات العدو الصهيوني العنصري.

كان صابر يتقن قراءة الواقع مسكون بالرؤى والإشراق والأحلام النبيلة، وكان محافظاً على رؤيته، ولكن لم تكتمل فرحته، بأن يرى كتابه الأخير الذي صدر بعد رحيله، وشاء القدر أن يرحل صابر مبكراً.

نتذكر صابر في العديد من المحطات في مشواره النضالي، نتذكره عندما كان رئيس تحرير مجلة الهدف، وكان يعطي كل وقته في سبيل استنهاض المشهد الإعلامي، وأيضاً مديراً لمركز الغد العربي للدراسات، نتذكره صلباً ذا إرادة، نتذكر فيه الإنسان الحالم العاطفي، نتذكر الأب الذي يصنع مستقبل الأجيال، نتذكره برفقة الحكيم جورج حبش في المسيرة النضالية للجبهة الشعبية، كان متفائلا يوزع ذاته ووقته على العمل، متجاوزاً زمن الإحباط، كانت فيه شفافية وجرأة المثقف النقدي، ولديه البصيرة السياسية، ويملك ذكاء الإحساس وعمق الضمير والوجدان.

انتظرناه وعاد إلينا مع مطلع الدمع ومطلع الشمس التي ستبقى ساطعة بمشاهداتها على ما تركه صابر من إرث نضالي منحه لفلسطين... ومنحته هي الأخرى الحياة والشجاعة والجرأة، فكتب لها وعنها، وكتبته فلسطين في سجل شهدائها الخالدين.

حزب الوحدة الشعبية في الأردن يؤبن الرفيق صابر محي الدين

أحيا حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني ذكرى الأربعين لوفاة الرفيق المناضل صابر محي الدين عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين/عضو المجلس الوطني الفلسطيني/عضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين/ رئيس تحرير مجلة الهدف سابقا، وذلك بإقامة مهرجان تأبيني لذكرى الفقيد بمشاركة الفعاليات السياسية والنقابية والثقافية وبحضور حوالي ٥٠٠ شخص وتضمن المهرجان البرنامج التالي:-

- كلمة رابطة الكتاب ألقاها رئيس الرابطة الدكتور أحمد ماضي.
- كلمة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ألقاها الأستاذ رشاد أبو شاور.
- كلمة منتدى الفكر الاشتراكي ألقاها رئيس المنتدى الأستاذ موفق محادين.
- كلمة أحزاب المعارضة الوطنية الأردنية ألقاها رئيس الدورة الحالية للجنة التنسيق الأستاذ فؤاد دبور.
- كلمة مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الدكتور جورج حبش ألقتها بالنيابة عنه الرفيقة المناضلة ليلى خالد.
- كلمة عائلة الشهيد ألقتها الدكتورة هناء العلمي زوجة الشهيد.
- كلمة حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني ألقاها أمين عام الحزب الدكتور سعيد ذياب

ومما قاله الدكتور أحمد ماضي رئيس رابطة الكتاب الأردنيين في كلمته:

من الأهمية بمكان أن نستحضر رؤيته الثاقبة للإنتفاضة، صحيح أن العدوان الإسرائيلي يشتد ويتواصل متبعا أساليب متنوعة في بشاعته وقسوته، حيث يضيق الخناق على الانتفاضة إلا أن ذلك لم يجعل من الراحل متشائماً بشأن مصيرها، يقول الراحل صابر محي الدين "إذا كانت الانتفاضة لم تنتصر. ولم تحقق أهدافها بعد، فإنها بالمقابل لم تهزم فلا زال بمقدورها الدفاع عن نفسها، والمبادرة إلى الهجوم أحيانا ولازال نبض الحياة في عروقها قويا متجدداً".

إن تفاؤل الراحل لم يذهب بعيداً عن التقويم الموضوعي للظروف التي تكابدها الانتفاضة، كان القلق الشديد ينتاب الراحل بشأن حاضر الانتفاضة ومستقبلها، لذلك قال إن الخطر الذي يتهدد الانتفاضة والمقاومة لا يزال خطرا فلسطينيا داخليا مؤكدا أن شبح الحرب الفلسطينية لا يزال مخيماً ويلقي بظلاله الثقيلة على الشعب الفلسطيني برمته.

إن تقويمه للانتفاضة هو أنها في مأزق، وهذا ناجم عن وجود اتجاهين الاتجاه الداعي إلى المفاوضات، والاتجاه الداعي إلى الانتفاضة والمقاومة، ويعزي المأزق إلى نمطي تفكير مختلفين أشد الاختلاف، ويقومان على: إما المفاوضات، وإما المقاومة والانتفاضة، لذلك ألح الراحل على ضرورة إجراء حوار وطني فلسطيني شامل وجاد يوصل إلى الاتفاق على قواسم سياسية مشتركة توحد الساحة الفلسطينية وتحصها ضد كل محاولات التخريب والتدمير.

ثم كانت كلمة الأستاذ رشاد أبو شاور عضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين:

عرفته مخلصاً لتوحيد الطاقات، لا متعصباً للفصيل الذي ينتمي إليه. كان بعيداً عن الاستعراض، إنه واحد من الذين لا يشكون ولا يتعبون، فهو عملي قليل الكلام إذا لم يكن للكلام ضرورة. كأنه روح وضوء يسري في المكان لا ضجيج ولا جلبة، كيف لي أن أرثي الصديق صابر محي الدين وأن أغرق في الحزن، دون أن أذكر نفسي ومن هم هنا الآن ورفاقه وإخوانه في الثورة الفلسطينية والانتفاضة بأخلاقه الرفيعة ومناقبه ونظافة يده وطهارة سلوكه وجاهزيته الدائمة للعمل، كان يتألم دون أن يعلن وكأنه يلظم قهره وألمه ولعل هذا ما فاجأني عندما كنت معه في اليونان ودهمت قلبه الضربة اللئيمة الأولى ونجا منها، إنه صاحب تلك الضحكة الهامسة، النظيفة، الساخرة والموجوعة، إنه الذي رأى الخراب والانحراف والسقوط وصان نفسه مما يدنس نفسه وسيرته كغيره ممن باعوا واشتروا وغيروا ولعبوا على كل الحبال. تصوروا حتى يوم رحيله لم أكن أعرف من أي بلد هو أو عائلته؟ كانت عائلته فلسطين والعروبة وأسرته الجبهة الشعبية وآله وأقاربه كل الشرفاء.. ولذا أيها الشرفاء الأوفياء الأنقياء هذا واحد ممن يليق بهم الحزن.

الأستاذ موفق محادين رئيس منتدى الفكر الاشتراكي قال في كلمته:

ينتمي صابر محي الدين إلى ما يمكن تسميته بالراديكالية السياسية مقارنة مع الانتهازيين والدغمائيين.

صابر محي الدين ابن هذه المدرسة كما جسدها في المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقتها القائد المؤسس جورج حبش، لا انعزالية رومانسية وتصوف ثوري ولا تكفير ولا هجرة وفي الوقت نفسه لا تكالب رخيص وانزلاقات قاتلة تحول الوطن إلى مكعبات ومربعات متناثرة وأجندة صغيرة مجزأة باسم ميزان القوى والرياح غير المواتية إلى ما يندى له الجبين، السمسرة كما ابتدأته أوسلو ووادي عربة وكما انتهى فيما يسمى بميثاق جنيف الذي أسقط حق العودة.

الموضوع الثاني في مدرسة الراديكالية السياسية كما يمثلها صابر محي الدين وغيره من رفاق الحكيم هو الثقة بالمقاومة وإرادة القتال، ليس باعتبارها مجرد أداة أو أسلوب في العمل بل بوصفها قانون الحياة الذي يطغى هذه الأيام على ما سواه من قوانين.

كلمة الأستاذ فؤاد دبور رئيس الدورة الحالية للجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة الوطنية الأردنية:

نلتقي اليوم لتأبين المرحوم صابر محي الدين، والأمة العربية تواجه مرحلة من أصعب مراحل تاريخها المعاصر، حيث تشتد حرب الإبادة التي يشنها العدو الصهيوني ضد شعبنا العربي الفلسطيني، باستخدام كافة أنواع أدوات الحرب وأساليبها، من قتل واغتيال واعتقال وحصار ودمار للنيل من إرادة هذا الشعب الصابر الصامد، والنيل من عزيمته وإصراره على مقاومة العدو لطرده من أرض فلسطين، ورغم كل جبروت القوة وأدواتها فقد فشل قادة العدو الصهيوني في تحقيق أهدافهم، وما زالت المقاومة مستمرة، مما أوقع الكيان الصهيوني في مأزق صعب أمنيا وسياسياً واقتصاديا، وهذا الأمر جعل الإدارة الأمريكية الشريكة للصهاينة في عدوانهم، أن تتحرك وتقدم مشاريع تآمرية تصفوية تستهدف تصفية القضية الفلسطينية برمتها مستعينة بأدوات فلسطينية وعربية، ولكن يقظة شعبنا وقدرته غير المسبوقة

على التحمل والصمود وعطاء الشهداء قد أفشل هذه المؤامرة ومشاريعها.

وفي الختام تحدث الدكتور سعيد ذياب أمين عام حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني فقال:

نلتقي اليوم أخوة وأصدقاء ورفاق، جميعاً لنؤبن رفيقنا صابر محي الدين (أبو طارق) الذي غادرنا فجأة وقبل الأوان، نؤبن رفيقاً عزيزاً شعرنا بالخسارة الجسيمة لفقدانه حد الفاجعة.

إننا ونحن نؤبن الفقيد الغالي نستذكر سوياً مسيرة حياته المليئة بالبذل والعطاء فمنذ بواكير صباه كان دائماً وسط الحدث وليس خارجه، مؤثراً ومتأثراً به، ولأنه كذلك كان انتماءه لحركة القوميين العرب مبكراً، ومن ثم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ليشارك من خلالها في النضال من أجل قضيته الوطنية وقضايا أمته العربية ورؤيته الأممية.

ونحن نؤبنك يا أبا طارق فإن وقوفنا في هذه المناسبة بما لها من مهابة وجلال نستحضر معك كل شهداء شعبنا العربي الفلسطيني على امتداد الزمان والمكان وشباب وأطفال ونساء فلسطين الذين يسقطون يومياً شهداء على مذبح الحرية.

يتركنا الرفيق صابر محي الدين في لحظة هي بحق من أصعب اللحظات وأدقها وأكثرها حساسية وخطورة، فالانتفاضة والقضية الوطنية الفلسطينية مستهدفة بالإجهاز عليها وتصفيتها وفرض التصور الأمريكي الصهيوني، والأمة العربية مهددة بإعادة رسمها وفق المشيئة الأمريكية والعراق محتل والتهديدات ضد سوريا ولبنان وإيران واضحة ومكشوفة، والنظام الرسمي العربي مرعوب والأيدي مرتعشة لا تقوى على فعل أي شيء ولكن المقاومة في أرض الرافدين تثبت للإدارة الأمريكية أن مجيئها للعراق لم ولن يكون نزهة، وأن أقدامها ستغوص في الرمال العراقية المتحركة، ونفس الصورة في فلسطين وبالرغم من همجية الصهاينة وقسوتهم استطاع الشعب الفلسطيني إفشال مخططاتهم، وأثبت للقاصي والداني أن حقوقه ليست برسم البيع أو المساومة، وأن هذا الشعب يبرهن كل يوم جدارته بامتياز بالحرية وحقه بوطنه.

تحت شعار «الانتفاضة ..المقاومة.. التحرير»

انعقاد مؤتمر القدس الرابع لشباب فلسطين بدمشق

متابعة عصام سلامة

انعقد في مدينة الشباب بدمشق مؤتمر القدس الرابع لشباب فلسطين، بعد ظهر يوم الخميس ٢٠/١١/٢٠٠٣، تحت شعار «الانتفاضة ..المقاومة.. التحرير»، وذلك بمناسبة اليوم العالمي للقدس، الذي يصادف يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان من كل عام، وبرعاية كريمة من سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في دمشق..

وحضر حفل الافتتاح عدد كبير من الشخصيات الوطنية والثقافية والاجتماعية والدينية، بالإضافة الى أعضاء المؤتمر من الشباب الفلسطيني، وبعد تلاوة آيات من الذكر الحكيم، قدم الأخ عمر حسن تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وألقيت في المؤتمر عدة كلمات، حيث ألقى الدكتور محمد العدلوني رئيس المؤتمر كلمة، والرفيق عبد الكريم شرقي منسق منظمة الشبيبة الفلسطينية كلمة شباب فلسطين، والسيد هيثم دويا نائب رئيس اتحاد شبيبة الثورة كلمة شباب سوريا، والسيد روح الله أوحدي أمين المؤتمر الطلابي لدعم الانتفاضة الفلسطينية كلمة شباب ايران، والأخ علي دعموش مسؤول العلاقات الخارجية لحزب الله كلمة المقاومة اللبنانية، والدكتور أحمد برقاوي كلمة الانتفاضة والمقاومة.

وأكدت الكلمات على عروبة القدس، وعلى وحدة الخندق النضالي، ودعت الكلمات الى دعم الصمود والمقاومة في وجه الاعتداءات الوحشية التي يرتكبها العدو الصهيوني بحق أبناء شعبنا الفلسطيني في الضفة والقطاع، وأشادت الكلمات بسوريا باعتبارها قلعة الصمود العربي، كما وجهت التحية الى الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وإلى المعتقلين في السجون الاسرائيلية.

وكان الرفيق عبد الكريم شرقي قد ألقى كلمة شباب فلسطين فيما يلي أهم ما جاء فيها:-

من المؤسف في ظل هذه الظروف الحرجة التي تعصف بشعبنا وامتنا، أن نجد فريق من المتهافتين مازال يسعى وراء أوهام التسوية.. ليطلوا علينا بما سمي بوثيقة جنيف وليعيدوا نفس المنهج المهزوم الذي ثبت عقمه طيلة فترة مفاوضات أوسلو وماتلاها، فهذه الوثيقة جاءت لتقر بشرعية ويهودية دولة الكيان الصهيوني، وتسقط حق العودة، نقول لهؤلاء ومن يقف وراءهم.. إننا نحن الشباب الفلسطيني لا يمكن لأحد ان يورثنا اتفاقات الذل والإذعان، لأن مصيرها السقوط.

الدكتور برقاوي قال في كلمته: إن إحياء يوم القدس هو في أهم معانيه أن تبقى القدس حاضرة في الوجدان العربي والفلسطيني دائما، فإذا كانت القدس رمزا لكلية الحق، فإن وجود اسرائيل هو رمز لكلية الباطل، إذا، فيوم القدس هو تأكيد لحق مسلوب، والقدس بهذا المعنى هي مكان لكل من أراد السمو، الصهيوني يحول القدس الى إعادة السبي والخراب، فمعنى عودة الصهيوني الى القدس هي عودة الى الوهم.. ولا تتم إلا من خلال الحرب والقتل والدمار، بينما القدس بالمعنى الاسلامي والمسيحي هي المحبة والسلام، وشتان بين المعنيين.

وبعدها استكمل المؤتمر أعماله، حيث عقدت الجلسة الأولى التي خصصت لندوة ثقافية فكرية أدارها الدكتور حسن الباش، وألقيت فيها محاضرتين، للدكتور علي عقلة عرسان، حول المتغيرات الراهنة، وأثرها على الواقعين العربي والاسلامي، أما المحاضرة الثانية للدكتور عدنان أبو عمشة، حول دور الشباب العربي والمسلم راهناً ومستقبلا، ثم دار نقاش مع المؤتمرين حولهما.

الجلسة الثانية، تم فيها عرض فيلم «فن الحياة» للمخرج إياد الداوود، ويتحدث الفيلم عن نماذج بعض الاستشهاديين الفلسطينيين، وبعد انتهاء عرض الفيلم دار نقاش حوله، ثم عقدت الجلسة الختامية للمؤتمر حيث بدأ ت الجلسة بأمسية شعرية للشاعر مفيد خنسة ألقى فيها قصيدة بعنوان: «من حديث النار» وهي مهداة لروح الشهيد الطفل محمد الدرة، ثم جرى إعلان نتائج المسابقة وتوزيع الجوائز على الفائزين في مجالات: البحوث والشعر والقصة القصيرة والفن التشكيلي.

وفي ختام أعمال المؤتمر تليت برقيات الشكر لكل من الرئيس السوري بشار الأسد والرئيس الإيراني محمد خامنئي ومرشد الثورة الإسلامية علي خامنئي، وتلي بعد ذلك البيان الختامي الذي أكد على دعم المقاومة والانتفاضة.

وبمناسبة يوم القدس العالمي الموافق ٢١/١١/٢٠٠٣ انطلقت مسيرة شعبية حاشدة من أمام جامع الوسيم في مخيم اليرموك بعد صلاة الجمعة، وفي طريقها الى مقبرة الشهداء هتف المواطنون خلالها بالشعارات الوطنية ورفعوا الأعلام الفلسطينية وأكدوا على الاستمرار بالمقاومة والانتفاضة حتى تحقيق الأهداف الوطنية في العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة.

الاحتلال الأمريكي للعراق وانعكاساته الخليجية

عبدالرحمن النعيمي

خرجت الولايات المتحدة وبريطانيا على الإجماع الشعبي الدولي الذي عبر عن نفسه بالمظاهرات المليونية في مختلف عواصم العالم، وعلى المؤسسات الدولية في التعاطي مع المسألة العراقية، عندما قررت إسقاط النظام العراقي بالقوة المسلحة، حيث ثبت لاحقا بطلان الذريعة الأساسية التي أشهرتها واشنطن لتبرير عدوانها وغزوها فاحتلالها للعراق.. بعدم قدرة فرق التفتيش الدولية ولا قوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني والمتعدد الجنسيات التي سارت في إمرة القوات الأمريكية، أن تكتشف، بعد احتلال العراق لمدة تزيد على سبعة اشهر، أية أسلحة دمار شامل!!

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد تغيير النظام العراقي.. ليس لأنه نظام شمولي واستبدادي وقمعي (فقد وقفت معه في محطات عديدة).. وإنما لأنه اتخذ موقفا مبدئيا صارما من القضية الفلسطينية، وتحالف مع القوى الراديكالية الفلسطينية، وقدم الدعم للكثير من المؤسسات والمجاهدين الفلسطينيين. إضافة إلى تحالفاته الدولية التي راهن فيها على روسيا وإلى حد ما على فرنسا للوقوف في وجه واشنطن.. في الوقت الذي أرادت الولايات المتحدة أن يكون الحادي عشر من سبتمبر منطلقا للسيطرة على كثرة من بلدان العالم، وخاصة النفطية، وتقوية مركزها وسط الكواسر، واعتبار نفسها شرطي العالم، تقود معسكر «الخير» في مواجهة معسكر «الشر»، ومواجهة كافة القوى الديمقراطية والإسلامية المؤيدة لحركة التحرر الفلسطينية.

هذه السياسة الأمريكية قد أربكت كافة دول العالم، وبشكل خاص الدول الخليجية والعربية عامة، إضافة إلى دول أساسية في المنطقة كإيران وتركيا.. وهذا ما شاهدناه خلال السنة المنصرمة منذ أن صعدت الولايات المتحدة لهجتها ضد النظام العراقي، وبدأت تتحدث علنا عن ضرورة إخلاء العراق من أسلحة الدمار الشامل التي لن تتم إلا بشكل جذري عبر إسقاط النظام العراقي ووضع العراق برمته تحت الاحتلال الأمريكي المباشر.

يمكننا مناقشة هذه السياسة الأمريكية وانعكاساتها الخليجية من زوايا متعددة أبرزها:

١. سياسة الغزو المسلح وإسقاط نظام عربي لا تتفق واشنطن بالكامل مع سياساته، وإعادة صياغة هذا النظام حسب المخطط والرؤى الأميركية للمنطقة برمتها.

٢. اختلال ميزان القوى الإقليمي على ضوء الاحتلال الأمريكي لأحد أبرز بلدان الخليج.

٣. الموقف من القضية الفلسطينية في المسألة العراقية.

٤. الحديث عن دمقرطة المنطقة والنموذج العراقي.

أولا: يمثل الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق بادرة خطيرة في العلاقات الدولية، حيث لم يسبق لدولة استعمارية بعد الحرب العالمية الثانية أن استولت على بلد ووضعت عليه حاكماً عسكريا أو مدنيا، وأعلنت بوقاحة سافرة أنها ستحتل ذلك البلد لمدة تطول أو تقصر، حسب ما تراه محققا للخطط التي وضعتها مسبقا، دون الإعلان الكافي عن هذه الخطط، إلا بشكل عمومي، مما أربك الحلفاء قبل الأعداء، وقد قامت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان، وأسقطت النظام السياسي الحاكم هناك، لكنها أقامت حكماً عميلا مرتبطاً معها، وأبقت قواتها العسكرية بقرارات دولية.. ولم تعين حاكماً أمريكيا عليه، وبالتالي فإن النموذج العراقي هو حالة متقدمة من الخطط العدوانية الأمريكية، التي أثارت الرعب لدى جيران العراق، بعد التهديدات الأمريكية المتكررة لدمشق وطهران، خاصة وأن الخلافات بين واشنطن وعدد من الدول العربية وإيران تتزايد، وتهديد الولايات المتحدة لهذه البلدان بأنها لن تتردد عن الحفاظ على مصالحها وسن قوانين أمريكية (قانون محاسبة سوريا، قانون محاسبة السعودية!) تجيز للحكومة القيام بأية أعمال عسكرية أو غيرها لفرض إملاءاتها على هذه الدول.

بالنسبة لمنطقة الخليج فإن الولايات المتحدة قد اكتشفت أن عدداً من دول المنطقة سواء المملكة العربية السعودية أو الكويت أو قطر أو الإمارات، ناهيك عن اليمن وعمان.. «تصدر الإرهاب» وتستهدف الولايات المتحدة..من خلال التنظيمات الإسلامية المتزمتة التي تحالفت سابقاً مع واشنطن ضد الاتحاد السوفيتي، ثم تغيرت المعادلة بعد انتهاء الحرب الباردة، ليجد الطرفان أنفسهما في مواجهة الآخر.

وهذا الإرهاب الذي تتحدث عنه واشنطن هو الإرهاب الذي يقوده الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة.. وهو تنظيم ارتبط بالحقبة النفطية، وبالتوجهات الأيديولوجية للمملكة العربية السعودية، التي أرادت مد نفوذها عالمياً عبر شبكة من الدعاة والمؤسسات الدينية والخيرية، التي انتشرت في كل أنحاء العالم، وتقاطعت هذه السياسة مع التوجهات الأمريكية في مواجهة الحركة الشيوعية والأفكار الاشتراكية والديمقراطية في العالم عموماً، وبالتالي وجدت واشنطن أن من مصلحتها استثمار هذا التوجه لشن حرب عصابات ضد السوفيت في أفغانستان، وتقوية مراكز الحركات الإسلامية في العديد من البلدان العربية والإسلامية، ولعل النموذج اليمني صارخ في ذلك، حيث رعت المملكة السعودية المدارس الدينية التي فاق عدد طلابها في التسعينات من القرن المنصرم مائتا ألف طالب، شكلت قوة كبيرة للنظام في حربه ضد الحزب الاشتراكي عام ١٩٩٤، ثم وجد ضرورة ضم هذه المدارس إلى وزارة التربية وسط معارضة شديدة من قبل حليفه حزب الإصلاح..

هذا التوجه الديني السلفي المتزمت، يشكل الأرضية الأيديولوجية للنظام في السعودية، وكان مفيداً في فترة الحرب الباردة، لكنه بدأ يفرز نقيضه في الفترة التي أعقبت الحضور الأمريكي الكثيف بعد غزو العراق للكويت وتدفق القوات الأمريكية إلى المملكة ومناطق الخليج الأخرى، وبدأت ظاهرة الأفغان العرب العائدين إلى ديارهم تشكل ظاهرة متصاعدة الخطورة على أوضاع الأنظمة المحافظة الحليفة للولايات المتحدة.. وحاولت المملكة التستر على التفجيرات التي استهدفت مجمعات سكنية للقوات الأمريكية في مدينة الخُبر في منتصف العقد المنصرم، لكن الأمور وصلت إلى ذروتها في الحادي عشر من سبتمبر عندما اتهمت

الإدارة الأمريكية تنظيم القاعدة بأنه وراء هذه التفجيرات. وبدأت وسائل الإعلام الأمريكية تشير إلى دور السعوديين في هذه العمليات.. وبدأت الضغوطات الأمريكية تتجه نحو المؤسسة التعليمية والعسكرية والأمنية السعودية. ففي الأولى هناك مراكز التوجيه الأيديولوجي السلفي الذي يرى أن عليه نشر الإسلام الوهابي المتزمت إلى كل أنحاء العالم، وأن النفط يجب أن يسخر لصالح الدعوة السلفية.. أما المؤسسات الأمنية والعسكرية فإن الحضور القبلي والجماعات السلفية كبير للغاية فيها. ويرى البعض بأن العدد الأكبر من أفراد القوات المسلحة وأجهزة الأمن تتعاطف مع الحركة السلفية نظراً لاعتماد النظام على شرائح معينة في المجتمع.. تدافع عن أيديولوجية النظام شأنها في ذلك شأن الأنظمة الأيديولوجية التي يشكل الجيش وأجهزة الأمن القوى المادية التي يعتمد عليها النظام..

وبالتالي فإن الولايات المتحدة قد وجدت أن عليها أن تتسلل عبر مؤسسة الاستخبارات الأميركية إلى كل هذه الدول للمشاركة في مواجهة التنظيمات السلفية، بشكل علني كما حصل في اليمن بحجة المساعدة على ملاحقة العناصر الإرهابية، أو مساعدة النظام السعودي في التحقيقات الجارية ضد شبكة التنظيمات التي أقامتها الحركة السلفية وسط المجتمع ومؤسسات الدولة، وإثر كل عمل إرهابي تقوم به هذه المجموعات كما حصل في مدينة الرياض. ومن ناحية أخرى فان الكثير من الحركات الإسلامية المعادية للولايات المتحدة تعتمد على الدعم المعنوي والمادي من قبل قوى المجتمع والدولة في هذه المنطقة، وتتدفق الأموال في جميع الاتجاهات لمساعدة المسلمين المجاهدين في مختلف أنحاء العالم، لذا فإن المخطط الأمريكي هو تجفيف البحر من حول السمك، وإغلاق قنوات الدعم المالي، وذلك بمراقبة حركة الأموال التي تجمعها المؤسسات الخيرية في هذه المنطقة، والتي تصب لصالح حركة القاعدة، أو نشر الإسلام السلفي، أو تمويل حركات التمرد الإسلامية في العديد من بلدان العالم، إضافة إلى الدعم المقدم لحركة التحرر الفلسطينية بشقها الإسلامي، سواء حركة حماس أو الجهاد الإسلامي.

لقد احتلت الولايات المتحدة العراق بحجة الشبهة بأنه يساعد تنظيمات القاعدة، وفي حقيقة الأمر استولت على العراق من أجل النفط، وتغيير السياسات الداخلية التي يسير عليها النظام والتي تراها واشنطن مضادة لمصالحها وسياساتها في المنطقة.. وبالتالي فإن دول الخليج تراقب بدقة المزاج الأمريكي بحيث لا يغضب عليهم إلى درجة التهديد بإسقاط أنظمتهم .. ويستجيبون للإملاءات الأمريكية في الكثير من القضايا.. في الوقت الذي يتفهم الأمريكان أوضاعهم الخاصة ولا يضاعفون ضغوطاتهم إلا بالقدر الذي يراه الخبراء ضروريا، وهذا ما نراه بالنسبة للمملكة السعودية حيث تتذبذب العلاقات السعودية الأمريكية في هذه المرحلة أكثر من أي فترة سابقة، ووصلت الأمور إلى درجة التهديد بإسقاط النظام السعودي وتفتيت المملكة وإقامة دول متعددة بديلا عن الدولة الموحدة، وهي في ذلك تدغدغ عواطف بعض الفئات الإقليمية أو الدينية التي لحق بها الكثير من الغبن من جراء سياسة التمييز الطائفي أو القبلي السائدة في النظام.

ويبدو أن الوضعية السعودية خطيرة للغاية، أكثر من بقية دول الخليج الأخرى، وهذا ما يجعل البعض يتخوف من التهديدات الأمريكية حول تقسيم البلاد أو إقامة بدائل للنظام الحالي، خاصة وان المرحلة السابقة قد ربطت العديد من كبار المسؤولين برجالات القاعدة أو التنظيمات الإسلامية، وهو ما شاهدناه بالنسبة لمدير جهاز المخابرات السعودي السابق، كما أن سقوط النظام العراقي قد حفز الكثير من العناصر الإسلامية على التسلل إلى العراق لمحاربة الأمريكان.. واستثار في الداخل غضباً شعبياً تجاوب معه النظام عبر رفضه للغزو وعدم اعترافه بمجلس الحكم العراقي، وعرقلته للعديد من المشاريع الأمريكية المتعلقة بالعراق، لمعرفته بأن مثل هذه المشاريع ستصب بالضرورة ضد المصلحة السعودية، سواء على الصعيد النفطي أو الإقليمي السياسي والعسكري.

ويبدو أن النظام السعودي يراقب بدقة الإجراءات التي تقوم بها قوات الاحتلال في العراق ومدى انعكاسها على المملكة، فحيث تحدث السيد ليزلي غليب الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية عن إمكانية تقسيم العراق إلى مناطق ثلاث، كردية وشيعية وسنية، وحيث يكون النفط والمال مؤشرا على التوجهات التقسيمية، فإن البعض يرى بأن العين الأمريكية على السعودية تشير إلى ذات التوجهات، مما دفع الوطنيين والإسلاميين في المملكة إلى تحديد موقفهم في وثائق عدة أعربوا فيها عن رفضهم المطلق للمخطط الأمريكي. لكن مخطط التقسيم المذكور قد يجد مؤيدين له إذا استمرت سياسات التمييز الطائفي والامتيازات الكبيرة لأفراد الأسرة الحاكمة، وعدم التقدم خطوات باتجاهات إصلاحات سياسية جذرية في البلاد.

ويبدو أن هذا الإرباك في العلاقات السعودية الأمريكية قد وجدت فيه الحركات السلفية فرصة ذهبية لتطوير محاربتها ضد النظام نفسه، بتصعيد العمل المسلح بهدف إشاعة الفوضى والبلبلة وسط المجتمع وتبيان عجز النظام عن حفظ الأمن كما شاهدنا في العمليات الإرهابية التي استهدفت مجمعات سكنية قتل فيها الكثير من الأبرياء في العاصمة السعودية..مما يعني بالنسبة للولايات المتحدة أن المملكة باتت أحد المراكز الأساسية لتنظيم القاعدة أو انصارها.. وقد تستطيع إقامة بؤر مسلحة أو تقوم بمحاولة للاستيلاء على مراكز حساسة في المنطقة كما شاهدنا عام ١٩٧٩ عندما حاول جهيمان أن يستولي على الحرم المكي، ويعلن خروج المهدي المنتظر الذي سيخلص المسلمين من الظلم اللاحق بهم!!

وبالرغم من الأخطار التي تتصاعد في المملكة من جراء المواجهات المسلحة بين السلفيين والنظام السعودي، والتي يتخوف البعض أن تسير على منوال التجربة الجزائرية، فإن الدور الأمريكي سيتصاعد من خلال الدعم الاستخباراتي والعسكري الذي ستقدمه الولايات المتحدة للنظام بالإضافة إلى خططها الشاملة لمنطقة الخليج لتغيير المناهج الدراسية باتجاه أكثر ليبرالي واقل ارتباطا بالقيم الدينية أو القومية .. سواء عبر الخبراء الذين تدفقوا على بلدان الخليج لدراسة المناهج الدراسية ومعرفة المواقع التي يجب السيطرة عليها أو عبر الجامعات والمدارس الخاصة التي تدفقت على المنطقة من مختلف البلدان الأمريكية والأوربية لإقامة نظام تعليمي جديد حسب الأصول الأمريكية او الأوربية، وهي تجربة تلقى التأييد الكبير من قبل قطاعات واسعة من المجتمع .. ولعل النموذج القطري ابرز مثال على ذلك.

ثانياً: لا شك أن الاحتلال الأمريكي للعراق قد غير المعادلات العسكرية والأمنية في الإقليم الخليجي برمته..

ففي الفترة السابقة اعتمد الأمن على العلاقات بين أطراف المثلث الإيراني العراقي السعودي.. وكانت الولايات المتحدة تتمتع بقوة عسكرية متزايدة منذ الحرب العراقية الإيرانية.. تحافظ على امن واستقرار الصادرات النفطية.. وتستفيد من التناقضات بين الدول الثلاث.. وتعلن وقوفها ومساندتها لحلفائها في دول مجلس التعاون الخليجي، هذا الإسناد الذي

عبر عن نفسه بوضوح في مواجهة الغزو العراقي للكويت وشن حرب الصحراء لإخراج القوات العراقية وإعادة الأسرة الحاكمة إلى الكويت.. لكنها الآن أصبحت أحد أطراف المثلث الخليجي بعد أن اصبح العراق تحت الاحتلال الأمريكي.

في فترة ما قبل الاحتلال، اعتمدت الولايات المتحدة على قواعد عسكرية لها منتشرة في كافة الدول الخليجية، بالإضافة إلى حضورها البحري الكثيف الذي يتزايد مع كل أزمة تعيشها المنطقة.. واستفادت واشنطن من الصراعات بين دول الخليج نفسها، حيث تمكنت من الحصول على تسهيلات كبيرة ومغرية في قطر، جعلها تنقل الكثير من مواقعها العسكرية إلى قاعدة العديد في جنوب قطر، وتهدد بسحب كل قواتها من المملكة!!

أما بعد احتلال العراق.. فقد اختلف الوضع كلية.. حيث يتواجد في هذا البلد قرابة ١٣٠ ألف جندي أمريكي. وتخطط واشنطن لبقاء عسكري طويل الأمد على غرار ألمانيا أو اليابان، ولا تدرج في الخطط المعلنة مسألة وجودها العسكري في العراق. بل إن هناك إجماعا بأن واشنطن تبني عددا من القواعد العسكرية الضخمة في العراق (شماله وجنوبه والوسط) لتكون المرتكزات العسكرية الأساسية لها في المنطقة مهددة بذلك ثوابت الأمن الإقليمي التاريخية .. مهددة بين الفترة والأخرى كلا من إيران وسوريا، بل إن حضورها العسكري في العراق يشير إلى إمكانية تخفيف حضورها العسكري في تركيا وبالتالي العلاقات العسكرية الأمريكية التركية.

وإذا أمعنا النظر في هذه المسألة .. خاصة بعد حل الجيش العراقي المبني على عقيدة قتالية قومية ووطنية.. فإن تحولات راديكالية في ميزان القوى العسكري والتحالفات الإقليمية قد حصلت بعد التاسع من ابريل ٢٠٠٣، حيث بات العراق العسكري الجديد حليفا وسنداً أساسيا للكيان الصهيوني.. في مواجهة كل دول المنطقة.. كما باتت الولايات المتحدة قوة إقليمية خليجية أكبر بكثير من الفترة السابقة، يمكنها أن تفرض شروط الأمن على دول المنطقة، ويمكنها تفكيك المنظومة الدفاعية الخليجية التعاونية عبر ربط هذه الدولة الخليجية أو تلك بكامل منظومة الدفاع الأمريكية في العراق والخليج (كما نشاهد في الكويت وقطر على سبيل المثال).

ثالثا: الموقف من القضية الفلسطينية في المسالة العراقية

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى فصل القضية الفلسطينية عن موضوعة النفط العربي في مواجهة الدعوات القومية المتكررة بربط النفط بفلسطين خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ والحظر النفطي عن الولايات المتحدة والدول التي وقفت إلى جانب العدو الصهيوني.. إلا أن كافة الجهود التي بذلتها واشنطن لزحزحة القضية الفلسطينية عن الوجدان الشعبي في منطقة الخليج قد باءت بالفشل.. فقد حظيت الحركات الإسلامية الفلسطينية المجاهدة بالتأييد والدعم الشعبي والرسمي في هذه المنطقة.. كما حظيت الحركات الديمقراطية المناضلة الفلسطينية بالتأييد من قطاعات متنورة في المجتمع الخليجي.. وبرزت الكثير من لجان الدعم والمساندة المالية وجمعيات مقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، حيث مثل التجمع الخليجي الذي عقد مؤتمراته الثلاث في الكويت والبحرين والمظاهرات والمسيرات التضامنية مع انتفاضة الشعب الفلسطيني مؤشراً واضحاً للموقف الشعبي من القضية الفلسطينية ..

وإذا كانت الولايات المتحدة معنية بالشأن الصهيوني، فإنها تريد تجفيف منابع الدعم المالي العربي والإسلامي لحركة حماس والجهاد الإسلامي والحركات الثورية الفلسطينية من مختلف بلدان الخليج، وبشكل خاص من المملكة العربية، وهذا ما نلاحظه في الوقت الحاضر خاصة بعد أن اعتبرت واشنطن الموقف الصهيوني موقفها وسعت إلى الضغط على كافة دول العالم لتجميد حسابات المنظمات الجهادية الفلسطينية كحماس والجهاد الإسلامي.. وفي الوقت الذي تحصل واشنطن على بعض التأييد من قبل بعض الرسميين في هذه المنطقة كإدانة العمليات الاستشهادية أو الحديث عن إمكانية التطبيع مع العدو الصهيوني .. فان الموقف الشعبي المعارض للولايات المتحدة مرتبط اشد الارتباط بالعداء للكيان الصهيوني وتجذر هذا الموقف باعتبار الكيان قاعدة عنصرية استيطانية لابد من إزالتها .. وإقامة دولة ديمقراطية في فلسطين في حل تاريخي للإشكالية التي أوجدتها الحركة الصهيونية بإقامة قاعدة لها في فلسطين.

رابعاً: التوجه الأمريكي لدمقرطة المنطقة:

لا يبدو أن هناك نموذجا ديمقراطيا وضعته واشنطن للمنطقة تطالب الآخرين أن يقتدوا به .. وحيث أنها تحدثت عن النموذج العراقي.. فان مشاريعها لدمقرطة العراق، قد أثارت الكثير من التساؤلات حول حقيقة المشروع السياسي الأمريكي..

فإذا كانت الديمقراطية تستند على المساواة والعدالة وإلغاء كافة أشكال التمييز العرقي والمذهبي والقومي، وحرية التعبير والتنظيم والمعتقد وإقامة المؤسسات الدستورية العقدية وتداول السلطة واستقلال القضاء ونزاهته.. فان النموذج العراقي المتأمرك يختلف كثيراً عن هذه القيم التي يؤمن بها الكثير من الديمقراطيين في المنطقة والتي يرون فيها المخرج من الأنظمة الشمولية أو أنظمة الأسر الحاكمة القبلية العاجزة عن التطور.

فمنذ البداية وقفت الإدارة الأمريكية إلى جانب عملائها في المؤتمر الوطني العراقي، الذي شكل لجنة لاستئصال حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، بكل ما يرمز له من تاريخ وأفكار قومية.. ثم واجهت كل المحطات الفضائية والمراسلين الصحفيين، فأغلقت مكتب العربية وقبلها قتلت العديد من الصحفيين والمراسلين لفضائية الجزيرة وأبوظبي .. ولا تتردد عن منع المراسلين من نشر الأخبار الحقيقية أو الصور المتعلقة بالممارسات البشعة لقوات الاحتلال.. ولا تزال ترفض الإفصاح عن الأعداد الكبيرة من المعتقلين العراقيين في السجون . أو زيارتهم .

ومنذ البداية كانت تخطط لتقسيم العراق على أساس مذهبي وعرقي.. وأقامت مجلس الحكم العراقي على هذا الأساس. وبالتالي فإنها لا تريد المساواة بين المواطنين وإنما تقسيم العراق وإضعافه، وإقامة ديمقراطية الطوائف وليس ديمقراطية المواطن..

ولعل النموذج البحريني يسلط الأضواء على التوجه الأمريكي لدمقرطة المنطقة.. فقد ضغطت الولايات المتحدة بقوة لتحقيق الانفراج السياسي بعد وفاة الأمير السابق.. وأراد الحكم الاستفادة من هذا الضغط بتسليط الأضواء على أجواء الانفراج التي قام بها، والتي كانت غير متوقعة من قبل اكثر المتفائلين بالإنفراج.. لكن الثمن الذي توجب دفعه من قبل شعب البحرين وحركته السياسية كان كبيراً للغاية.. حيث استبدل الحكم الدستور العقدي السابق بدستور منحة جعل البلاد ملكية مطلقة.. رافضاً الآلية التي نص عليها دستور ١٩٧٣ ومتجاوزاً لها بمرسوم سنه في الذكرى الأولى للتصديق على الميثاق الوطني (١٤ فبراير ٢٠٠٢).. وأجرى تعديلات كبيرة على صلاحيات مجلس النواب جعلته عاجزاً عن ممارسة دوره التشريعي او الرقابي.. مما أجبر الحركة السياسية الديمقراطية والإسلامية المناضلة على رفض هذا الدستور ورفض المؤسسة التشريعية المنبثقة عنه والمطالبة

بالتمسك بمكتسبات دستور ١٩٧٣ وميثاق العمل الوطني، والتعهدات التي صرح بها كبار المسؤولين بأن المجلس المنتخب للتشريع، والمجلس المعين للشورى فقط.

تغاضى الأمريكان عن كل هذه التجاوزات الخطيرة.. معتبرين أن مشاركة المرأة سياسياً وإعطاء مقعد لليهود في مجلس الشورى هو المطلوب من النظام في البحرين .. أما مسألة إلغاء التمييز الطائفي العرقي، والمشاركة الحقيقية في السلطة السياسية باعتبار الشعب مصدر السلطات جميعاً، وتغيير الوزارة وإجراء اصلاحات واسعة في النظام القضائي، فإنها مسائل مؤجلة .. ولم يتردد الرئيس الأمريكي وكبار المسؤولين الأمريكان من الإشادة بالتجربة البرلمانية البحرينية، رغم المعارضة الشعبية الواسعة لمثل هذه التجربة الهجينة، التي عبرت عن تطوير مجلس الشورى بانتخاب نصف أعضائه.. وتأكيد الدستور المنحة من جانب آخر بأن المعينين في مجلس الشورى يمثلون شعب البحرين!!!!

ويمكننا أن نشاهد هذا الدجل الأمريكي حيال السعودية.. ففي الوقت الذي تطالب الحركة الديمقراطية والشخصيات المرموقة في البلاد ومن بينهم الشخصية الديمقراطية المعروفة من الأسرة الحاكمة، الأمير طلال بن عبد العزيز بضرورة التحول السريع إلى الملكية الدستورية، فإن الأمريكان يشيدون بالتصريحات الرسمية حول انتخابات للبلدية في السنة القادمة، ويغضون الطرف عن الاعتقالات التي استهدفت متظاهرين يطالبون بالإصلاحات خلال انعقاد مؤتمر لحقوق الإنسان في الرياض!!

وإذا أجملنا الموقف الأمريكي حيال المسألة الديمقراطية، فإنه حريص على تطوير الأنظمة الراهنة التي تصر على البقاء تحت الصفر بدرجات كثيرة.. ويطالبها بأن تكون أكثر ليبرالية وأكثر عصرية بحيث يمكنها أن تكون أكثر استجابة لمصالح ومتطلبات حضور الشركات الأمريكية المتعددة الجنسية والمستجيبة لمصلحة التطور الاقتصادي وخاصة في المملكة.

وبالرغم من هذه السلبيات الكثيرة والكبيرة، فإن الإصلاح السياسي مطلوب من قبل قطاعات واسعة في المجتمع، حيث عبرت كافة القوى السياسية والشخصيات الاجتماعية والاقتصادية عن ضرورة تطوير النظام السياسي باتجاه سن دساتير عقدية وإقامة مؤسسات تمثيلية وإصلاح شامل للقضاء، والسماح للأحزاب والنقابات والاتحاد المهنية بالعمل العلني والشرعي، وإعطاء المرأة حقوقها السياسية (حيث لا تزال ممنوعة من السياقة في المملكة العربية السعودية مثلا)..إضافة إلى مواجهة الفساد المالي والإداري والتمييز الطائفي والعرقي ، وحل مشكلة البدون، والاعتماد الكبير على القوى العاملة الأجنبية التي ستكون فخا كبيرا منصوبا لهذه الأنظمة، إذا لم تتمكن من سن تشريعات إنسانية وعادلة بحق هذه الملايين من البشر.

والجميع يتطلع إلى العراق.. إلى المقاومة الشعبية والمسلحة المستهدفة إخراج قوات الاحتلال.. والجهود الشعبية الكبيرة لقبر المشاريع التقسيمية والطائفية التي يعتمد عليها الاحتلال.. فبمقدار ما يستطيع العراق الشعبي والمقاوم من الاستفادة من الظروف المستجدة لتحقيق شروطه في عملية الصراع الدائر حاليا، بمقدار ما يقدم إجابات على أسئلة خليجية كبيرة.

الأمين العام يهنئ الرئيس السوري بذكرى الحركة التصحيحية

سيادة الرئيس/ الدكتور بشار حافظ الأسد المحترم

تحية العروبة، تحية فلسطين، تحية النضال....

تحل اليوم على ربوع الوطن العربي الغالي ذكرى الحركة التصحيحية المجيدة، وبهذه المناسبة اسمحوا لي أن أتقدم إليكم، باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بمكتبها السياسي ولجنتها المركزية وكافة مناضليها، وباسمي شخصيا، بأسمى التحيات والتبريكات، لما تحمله هذه المناسبة من معاني عظيمة، استطاعت أن تكون نموذجا للتقدم والبناء، وأن تكون جذرا للمبادئ القومية العربية الأصيلة، وعنوانا للثوابت الوطنية.

تأتي هذه المناسبة، ونحن في ظروف بالغة الصعوبة والدقة، خصوصا ما يمر به وطننا العربي من تطورات وتغيرات واستهدافات أمريكية صهيونية، واستخدام القوة لبسط النفوذ والهيمنة على الوطن العربي برمته.

ومع تصعيد الحملة الأمريكية الصهيونية، بعد احتلال العراق الشقيق، والاجتياحات الصهيونية المستمرة لمدن الضفة وقطاع غزة، تحاول الإدارة الأمريكية اليوم استخدام وسائل الضغط على الشقيقة سورية عبر ما تصدره من قرارات وقوانين، كان آخرها ما سمي بقانون محاسبة سورية. وكأن أمريكا باتت تحل محل الشرعية الدولية. وعلى الرغم من هذه العنجهية الأمريكية الصهيونية، إلا ان سورية استطاعت أن تقف وتصمد بوجه هذه الضغوطات والاستهدافات التي تثيرها الإدارة الأمريكية الصهيونية.

إن الاحتلال الأمريكي للعراق، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين سيوسع دائرة المقاومة، وها هي الإدارة الأمريكية تمر بأزمة لم تشهد مثلها من قبل. كما أن صمود المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان سيقود إلى الانتصار على المشروع الإمبريالي الأمريكي الصهيوني.

إننا في هذه المناسبة العزيزة، إذ نحيي الموقف الوطني القومي الذي تمثله سورية في مواجهتها وصمودها أمام كل الضغوطات الأمريكية الصهيونية، فإننا على ثقة تامة بأن الاحتلال سيزول عن كل الأراضي العربية، لأن الاحتلال يمثل أعلى درجات الإرهاب والظلم والاضطهاد.

إن تضحيات شعبنا الفلسطيني، وتضحيات الأمة العربية تتقدم مشهد الصراع. وكما دلت التجربة فإن هذه التضحيات هي خارطة الطريق الحقيقية إلى الحرية والاستقلال، إلى النصر.

المجد والخلود لشهداء فلسطين والأمة العربية الأبرار
الحرية للأسرى والمعتقلين
النصر للمقاومة والانتفاضة

أخوكم
أحمد سعدات
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
سجن أريحا - فلسطين، ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٣

عبد الغفار شكر لـ «الهدف»:

ما لم ينهض الطرف العربى بمسؤولياته تجاه فلسطين والعراق لا تنتظروا جديدا

عبد الغفار شكر واحد من أبرز الرموز السياسية والثقافية فى مصر، يتسم بدرجة عالية من الوضوح فى الرؤى، وبدرجة ربما أعلى من الصراحة والجرأة فى طرح ما يراه صحيحا، بعقل واع ومفتوح، ساهم بفعالية فى تأسيس وقيادة حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى، ووصل إلى موقع الأمين العام المساعد للحزب لإعداد السياسات، كما ساهم فى تأسيس مركز البحوث العربية وأصبح نائبا لرئيس مجلس إدارته.

وعندما اختلفت الرؤى (داخل التجمع) وبدا أن المسالك فى طريقها إلى الافتراق، لم يتردد فى تقديم استقالته من المواقع القيادية التى يشغلها، لكن قيادة الحزب رفضت الاستقالة، لكن الرجل الذى لا يعرف سوى الصراحة والوضوح، لا يعرف بالضرورة كيف يمارس السياسة فى دروب لم يألفها، فبقيت المناصب وابتعد الرجل، حاملا على كتفيه هموم الوطن الأصغر (حزب التجمع) والأكبر (مصر) والأوسع باتساع المساحة الممتدة من الماء إلى الماء.

مع عبد الغفار شكر و«الهدف»، كان هذا اللقاء:

أجرى الحوار فى القاهرة:
هانى عياد

س: أستاذ عبد الغفار أهلا بك على صفحات الهدف.

هناك من أطلق عليك اسم «الصوت المعارض داخل حزب التجمع» هل توافق على هذه التسمية؟ وما هى النقاط أو القضايا التى ترى أنها تستحق المعارضة فى سياسات حزب التجمع؟

ج: (مبتسما) ليكن... أوافق على هذه الصفة، حيث أننى بالفعل اختلفت مع قيادة الحزب فى بعض القضايا، ربما كان أهمها:

١ - المواقف السياسية الأخيرة التى تقترب من الحكم، رغم أنه يطبق سياسات تتعارض مع برنامج التجمع ومصالح القوى الاجتماعية التى يعبر عنها.

س: ... (مقاطعا) منذ متى على وجه التقريب ظهرت هذه «المواقف الأخيرة» ؟

ج: هذه المواقف بدأت فى الظهور منذ بداية التسعينيات، لكنها أخذت شكلا واضحا خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وتحديدا مع الاستفتاء الأخير على رئاسة الجمهورية.

٢ - القضية الأخرى التى وقفت منها موقف المعارضة فى التجمع كانت إهمال قيادة الحزب بناء التجمع كمؤسسة جماهيرية قادرة على جعل التجمع قطبا أساسيا فى الصراع الدائر حول مستقبل مصر.

٣ - إهمال قيادة الحزب إعداد قيادات جديدة تعوض بها غياب القيادات الأساسية التى تختفى بحكم السن أو الوفاة.

٤ - سيطرة مجموعة محدودة متنفذة على توجهات الحزب ومواقفه، واستخدام جريدة الأهالى لخدمة هذه التوجهات.

س: يشهد حزب التجمع الآن عملا متصلا واستعدادات جادة تحضيرا للمؤتمر القادم المقرر انعقاده هذا الشهر، هل لكم أن تضعونا فى أجواء هذا العمل؟

ج: يهتم حزب التجمع دائما بالتحضير الجيد لمؤتمراته العامة، حيث يسبقها حوار داخلي حول القضايا الأساسية ووجهات النظر حولها، كما يرصد تقرير سياسي كامل عن أداء الحزب خلال الفترة من المؤتمر العام السابق إلى المؤتمر الحالى، وتقييم هذا الأداء، والتوجهات السياسية المستقبلية للحزب للفترة القادمة، كما يصدر تقريرا عن الأداء التنظيمى وآخر عن الأداء الإعلامى. ويجري انتخاب الهيئات القيادية للحزب من الوحدة الأساسية حتى اللجنة المركزية من خلال مناقشة هذه الوثائق، وبالتالي تتضح اتجاهات الراى حول القضايا الأساسية وحجم هذه الاتجاهات.

وقد طبقت هذه الأسس بالنسبة للتحضير للمؤتمر العام الخامس للحزب، الذى سيعقد فى ١٧ و١٨/١٢/٢٠٠٣، وأجريت انتخابات الهيئات القيادية، ومن الواضح أن هناك توجها عاما غالبا فى الحزب، ينتقد أداء القيادة المركزية فى السنوات الخمس الأخيرة ويطالب بتغيير توجهات الحزب واتخاذ موقف مستقل من الحكم، وأن يبرز التجمع فى الفترة القادمة باعتباره حزب المعارضة الجذرية المعبر عن مصالح الطبقات الكادحة، وأن يتغير أداء جريدة الأهالى لتعبر بصدق عن توجهات الحزب السياسية، كما صاغها البرنامج العام وقرارات المؤتمر العام واللجنة المركزية، وأن تتناول الأهالى القضايا الأساسية للمجتمع، وألا تفصل بين الحكم وبين رئيس الجمهورية لأنه المسؤول الأول عما يمارسه الحكم من سياسات غير ديموقراطية وسياسات اقتصادية تضاعف من الأزمة الاقتصادية - الاجتماعية القائمة فى مصر. وأعتقد أن المؤتمر العام القادم سيشهد مناقشات ساخنة حول هذه المسائل، وقد تأكد ذلك فى الروح النقدية التى سادت اجتماع اللجنة المركزية الأخير فى أكتوبر الماضى، كما سيشهد المؤتمر أيضا ظاهرة جديدة إيجابية وهى إجراء انتخابات تنافسية حول المواقع القيادية المركزية بين أكثر من مرشح، وبما يمكن اعتباره إضافة جديدة إلى الطابع الديمقراطى للتجمع.

س: يشهد المؤتمر القادم تطبيق المادة الخاصة بعدم جواز استمرار القيادات الحزبية فى مواقعها لأكثر من دورتين، بما فى ذلك رئيس الحزب، وهو ما يمكن اعتباره خطوة إيجابية على طريق تأكيد ديموقراطية الحزب، ويطرح بالضرورة السؤال عن دور التجمع خلال المرحلة القادمة فى النضال من أجل انتزاع الحقوق والحريات الديموقراطية؟

ج: تطبيق المادة ٨ من اللائحة الداخلية للتجمع التي تنص على عدم استمرار القيادات فى مواقعها أكثر من دورتين، هو تطور ديمقراطي، وفى نفس الوقت فتح الباب أمام الأجيال الجديدة لتولي مواقع المسؤولية فى الحزب بعد أن تعطل ذلك لما يقرب من ربع قرن، فقد كان ملحوظا بشدة أن معظم القيادات تزيد أعمارها عن الستين سنة، بينما يمكن الآن ملاحظة أن الترشيحات للهيئات القيادية معظمها بين ٤٠ و٥٥ سنة، وهذا تطور مهم.

أما عن موقف التجمع من الديموقراطية في المجتمع المصرى فالتقرير السياسي المقدم للمؤتمر العام يعتبر أن الإصلاح السياسى والديمقراطي فى مصر مهمة ذات أولوية خاصة، وانها المدخل لتغييرات فى جوانب التغييرات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والوطنية، ويطرح التجمع برنامجا متكاملا للإصلاح السياسي، يدعو القوى الأخرى إلى تبنيه والعمل المشترك بشأنه. لكن من واقع تجربتي الشخصية طوال السنوات العشر الأخيرة فإن حزب التجمع لم يبذل الجهد الكافي من أجل وضع هذا البرنامج موضع التطبيق، واتخذ موقفا سلبيا من تكوين جبهة للقوى الديموقراطية تمارس عملا مشتركا حول الإصلاح السياسى، ومن الضرورى أن يصحح التجمع موقفه من هذه المسألة إذا كان جادا فى النضال من أجل الإصلاح السياسي والديمقراطي فى المجتمع لأنه لا توجد قوة سياسية فى مصر قادرة بمفردها على النهوض بهذه المهمة، ولا بديل عن بناء جبهة القوى الديموقراطية لتعبئة اوسع قوى ممكنة فى النضال من أجل الإصلاح السياسي فى مصر.

س: هل ترون أن فى هذه الجبهة متسع للقوى المحجوبة عنها شرعية النظام؟

ج: بالضرورة فهى جبهة مدعو للمشاركة فيها كل من يقبل النضال من أجل الديموقراطية ولا يجوز استبعاد اي طرف منها لأي سبب من الأسباب، وهى مفتوحة للأحزاب السياسية والتيارات التي لم تحظ بوجود كيانات شرعية معبرة عنها، وكذلك الشخصيات العامة التي يمكن أن تكون ممثلة لتلك القوى المحجوبة عن الشرعية الآن، كما أنها مفتوحة أيضا وبالضرورة للمنظمات الجماهيرية ومؤسسات المجتمع المدنى.

س: تدور الآن للمرة السادسة أو السابعة وقائع حوار بين الحزب الوطنى وأحزاب المعارضة، ما رأيكم؟

ج: هناك سوابق للحزب الوطني فى الدعوة للحوار لم يلتزم فيها بما طلبته أحزاب المعارضة، وانفرد وحده بتحديد نتائج هذه الحوارات، والمطلوب هذه المرة ليس من الحزب الوطنى فقط بل أيضا من أحزاب المعارضة أن تصر على توافر الشروط التالية لهذا الحوار لكي يحقق النتائج المستهدفة منه وعلى راسها إخراج البلاد من المازق السياسي الاقتصادي - الاجتماعي الذى تعيشه وتزيد حدته عاما بعد الآخر، من أهم هذه الشروط:

١ - أن يشارك الجميع فى وضع جدول أعمال الحوار، وبحيث يشمل قضايا الديموقراطية والاقتصاد والمشاكل الاجتماعية، ودور مصر العربي - الإقليمي وعلاقاتها الدولية، والمشكلات الاجتماعية المتفجرة وأهمها البطالة والفقر والفئات المهمشة.

٢ - أن تجري وقائع الحوار، أو جانب منها على الأقل بصورة علنية من خلال ندوات الإذاعة والتلفزيون والصحافة القومية والحزبية.

٣ - أن تشارك جميع الأطراف فى صياغة نتائج الحوار وأن يتفق على آليات محددة ومواعيد محددة لتنفيذها.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الحزب الوطني يهتم فى هذا الحوار بوضع نظام جديد للانتخابات والاتفاق على ميثاق شرف ينظم الدعاية الانتخابية للخروج من المازق الذي يواجهه فى الانتخابات، عندما يتمرد أعضاؤه ويرشحون أنفسهم كمستقلين فى مواجهة مرشحيه.

س: تشهد الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية فى مصر تراجعا متصلا يقترب الآن من إحدى ذراه المأساوية، فى رأيكم ما هي أسباب هذا الوضع وكيف السبيل إلى الخروج من هذا المأزق؟

ج: من الواضح أن السياسات الاقتصادية المطبقة فشلت فى جذب استثمارات جديدة أجنبية أو عربية أو محلية، كما فشلت فى تنفيذ برامج محددة لحل المشاكل المزمنة، مثل زيادة الصادرات والحد من الواردات ورفع معدلات الإنتاج وتوفير التمويل الكافي لمنشآت القطاع العام لاستئناف الإنتاج بعد أن فشلت فى خصخصتها كما فشلت السياسات الاقتصادية فى معالجة الظواهر التى أفرزتها، وهى الفقر والبطالة وتهميش فئات واسعة من المواطنين، وكانت محصلة كل هذا الفشل ارتفاع أعباء المعيشة على المواطن وهى المعيار الحقيقي للحكم على فشل او نجاح السياسات الاجتماعية الاقتصادية المطبقة.

س: أواخر الشهر الماضى فجر الروائى الأديب صنع الله إبراهيم ما وصف بأنه «قنبلة»، ما هو تقيمكم للحدث وتداعياته؟

ج: صنع الله إبراهيم مثقف جاد اختار لحظة هامة لكي يدين مواقف النظم العربية بما فيها الحكومة المصرية، من المهم الا يتحول هذا الموقف الإيجابى إلى احتفالية نكيل فيها المديح لصنع الله وفقط، بل المهم أن يستلهم المثقفون المصريون والعرب هذا الموقف فى صياغة رؤية لمواجهة المأزق الذي نعيشه، ويتحملون عبء تنفيذ هذه الرؤية مع تقديم التضحيات اللازمة مثلما فعل صنع الله.

س: بعدما بدا أن «خريطة الطريق» قد لقيت مصير ما سبقها من مشاريع لتسوية الصراع لعربى الصهيونى مثل تقرير ميتشل وتوصيات تينيت بل واتفاق أوسلو ذاته، جاء قرار مجلس الأمن الأخير بتبنى «الخريطة» وكأنه محاولة لإحيائها وبث الروح فيها. ومع ذلك يبقى مطروحا السؤال حول السيناريو البديل الذى يضمن الوصول بهذا الصراع إلى آفاق حل شامل وعادل، وآليات ترجمته على الأرض؟

ج: خريطة الطريق لا توفر الحد الأدنى من الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، فهى مجرد إجراءات لوصول الطرفين للجلوس على مائدة المفاوضات، ووعد غير محدد المعالم بدولة فلسطينية، ولا تتضمن الخريطة الآليات الكفيلة بوضعها موضع التطبيق، وصدور قرار مجلس الأمن الأخير لن يغير من الأمر شيئا، طالما بقيت الولايات المتحدة تنحاز إلى إسرائيل كليا وتساندها فى تصفية المقاومة الفلسطينية. وأظن أنه من واجبنا أن ننظر إلى مستقبل القضية الفلسطينية من المنظور الصحيح الذى يتمثل فى أنه ما لم ينهض الطرف العربى بمسئولياته تجاه فلسطين ومساندتها، وما لم نربط علاقاتنا بالدول الأخرى حسب موقفها من قضية فلسطين، فإننا يجب الا نتوقع جديدا على الساحة إلا إلى الأسوأ. وفى اعتقادي انه قبل أن ندين العنف الصهيوني والانحياز الأمريكي والتواطؤ الأوربي، يجب أن تنهض الدول العربية بمسئولياتها وتوفر المساندة المادية والإعلامية والسياسية الكافية لاستمرار الشعب الفلسطيني فى الصمود ومقاومة قوات الاحتلال الإسرائيلي، وبدون ذلك يجب الا نتوقع من الآخرين أية مواقف إيجابية.

وعلى المستوى الفلسطيني من المهم إعادة ترتيب الأوضاع، بعد ان اثبت الشعب الفلسطيني قدرته على الصمود والمواجهة بقواه الذاتية

وبدون أية مساندة عربية أو دولية، وقدم تضحيات جمة، وساند حركة المقاومة رغم كل المصاعب التي يواجهها فى حياته اليومية، والمطلوب الآن فلسطينيا صياغة برنامج وطني واضح المعالم يحدد الأولويات وبناء قيادة وطنية تضم كل القوى الفلسطينية وفق أسس ديموقراطية، قيادة تتحمل مسؤولية تنفيذ هذا البرنامج فى إطار أوسع وحدة وطنية ممكنة.

س: باتساع دائرة الهم العربى تتسع دائرة أسئلتنا، فى العراق تتأكد كل يوم حقيقة أن الديموقراطية لا تأتى على فوهات المدافع، فضلا عن أن قوات الاحتلال غير جديرة أصلا بتحقيقها، لكن على الجانب الآخر لا نستطيع تجاهل أن سقوط العراق تحت الاحتلال الأمريكى قد أفرز واقعا جديدا مختلفا نوعيا، ووصل بالمأزق العربى إلى ذراه المأساوية، ترى هل من سبيل للخروج من هذا المأزق؟

ج: فى اعتقادي أن احتلال العراق هو تعبير عن فشل النظام الإقليمي العربي الممثل في جامعة الدول العربية فى حماية المنطقة من التدخلات الأجنبية، كما أنه عمق من أزمة هذا النظام إلى الحد الذى أصبح معه مشلولا وعاجزا عن التصدي، ومن الواضح أن السبب فى هذا يعود إلى أن معظم نظم الحكم العربية فى حالة تبعية للولايات الأمريكية، بعضها يعتمد على أمريكا فى ضمان استمراره، وبعضها يعتمد على أمريكا فى سد العجز الاقتصادي، وبعضها يخشى مواجهة أمريكا فيلتزم الصمت، وبعضها كل هذا معا. وجذر هذا الوضع هو أن هذه النظم لا تعبر عن إرادة شعوبها بل تدافع عن مصالح طبقية لفئات محدودة للغاية، وبالتالي فإنها عاجزة عن مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تستطيع التصدي للاختراق الأجنبى للمنطقة. ومن هنا فإن التطور الديمقراطي فى الوطن العربي يكتسب أولوية خاصة لكى تتمكن الشعوب العربية من اختيار حكامها بإرادتها الحرة وإلزامهم بالدفاع عن مصالحها الأساسية، وما يتطلبه ذلك من تعبئة هذه المجتمعات فى إطار سياسة استقلالية قادرة على مواجهة الهيمنة الأمريكية فى المنطقة، والخطر الصهيوني، ويتطلب هذا أيضا تقديم المساندة الكافية للشعب العراقى ضد الاحتلال الأمريكى والشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني، والربط بين المصالح الأمريكية فى المنطقة وبين اتخاذها موقفا عادلا من قضايانا العربية.

مشروع النهضة... ورقة للحوار...!

عرض وتلخيص: م. ص

توطئة:

منذ قرنين على الأقل، وتحديداً منذ الاحتكاك العربي مع الغرب الاستعماري خلال حملة نابليون في أواخر القرن الثامن عشر، وهاجس النهوض أو النهضة يسكن النخب العربية ويدفعها للتحرك لتحقيق النهضة.

أولى المحاولات النهضوية جاءت عبر حركة إصلاح ديني للدولة الإسلامية، وثانيها كانت عبر تيار الإصلاح الثقافي والفكري التي أطلق عليها اسم عصر النهضة والتنوير. والمحاولة الأكثر جدية كانت المدخل «الدولتي» أي عبر دولة عصرية قوية، فكانت التجربة الأولى في الثلث الثاني من القرن قبل الماضي مع محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا. وبقي هذا المدخل «الدولتي» يطبع العديد من المحاولات التي حركت قادة وأحزاباً تسلموا مقاليد الحكم في بلادهم كجمال عبد الناصر، وحزب البعث، والجبهة القومية في اليمن، وجبهة التحرير الجزائرية ونجحت في جوانب لكنها بقيت قاصرة عن إحداث النقلة النهضوية الشاملة.

لقد كان الوطن العربي ساحة غنية لنشاط حركات وتيارات متعددة المشارب الفكرية والعقائدية سواء منها الإسلامي أم الماركسي، أم القومي على أنواعه، أم الليبرالي. وعلى الرغم من أن هذه المحاولات منحت، وما تزال أجيالاً مهمة من الشباب العربي وعياً فكرياً وسلحتهم بحصانة مبدئية، ولكنها أيضاً لم تنج من التعثر الذي أصاب غيرها.

وكتعبير عن قصور هذه المحاولات برزت أفكار ونظريات تربط النهوض بقضايا محددة مثل:

- بناء المجتمع الديمقراطي.
- السعي إلى الاستقلال الشامل.
- الوحدة العربية.
- مجتمع الكفاية والعدل.
- ردم هوة التخلف التكنولوجي.
- تجديد الذات الحضارية.
- صيانة حقوق الإنسان والمجتمع المدني.

وكلها أفكار حوارية وجهت لها الأنظار وثيقة «مشروع النهضة» المقترحة من بعض الأحزاب القومية والماركسية للإغناء والحوار.

الوثيقة - مشروع النهضة - هي تقاطع الطموح الذي تطلقه الأحلام أو الأفكار أو العقائد مع الأوضاع التي يرسمها الواقع العربي بكل شروطه وتعقيداته، وتفاصيله، ومن هنا فهي تختلف عن الأيديولوجيا وإن كانت في كثير من الأحيان تنطلق منها، بل أحياناً من الفضاء الذي تلتقي فيه أكثر من أيديولوجيا، حتى ولو كانت متباعدة في منطلقاتها.

وبهذا المعنى يمكن أن يلتقي أمام رؤية محددة للنهوض في الأمة، اليساري مع القومي مع الإسلامي مع الليبرالي مع الإصلاحي على أمل أن يسعى كل منهم بعد أن - يتحقق التغيير المرحلي إلى أن يقود المجتمع باتجاه خياره الفكري والأيديولوجي.

كما أن المشروع النهضوي القومي العربي، هو مشروع تاريخي طويل الأمد، سعت الوثيقة - مشروع النهضة - نحو إدراج حاجته الدائمة إلى التجديد في ضوء المتغيرات الداخلية والخارجية، وإلى الانفتاح على كل تطوير تأتي به النظرية والممارسة، وبالتالي فهو مشروع أفكار أكثر منه مشروع بنود، مشروع توجهات عامة أكثر منه مشروع قرارات محددة.

وبهذا المعنى فالمشروع النهضوي القومي العربي، كمشروع أمة بأسرها مدعو إلى التوقف بشكل خاص أمام عدد من المحاور التي ربما تشكل الإطار الفكري لقدرته التنفيذية وهذه المحاور هي:

- إرادة النهوض
- آليات النهوض.
- شمولية النهوض.
- النهوض كمقاومة.
- مؤسسات النهوض.
- شروط نجاح النهوض.

ليصار بعد ذلك إلى اعتماد خطوات تنفيذية محددة:

١- إرادة النهوض:

تتأكد أهمية الإرادة كشرط ضروري للنهوض إذا تذكرنا أن الصراع الدائر في عالم اليوم ليس مجرد صراع قوى محكومة بموازينها فقط، بل هو أيضاً صراع إرادات أيضاً. إن بلورة إرادة النهوض في الأمة وتطويرها وتصليبها وتسليحها بمقومات اختراق الجمود القائم، تكاد تكون واحدة من المهمات الرئيسية من أجل تجسيد المشروع النهضوي القومي العربي، بما هو سعي لنقل الأمة من حال إلى حال تحتاج إلى أن تقترن بتحليل عميق لحال الأمة الراهنة، وبرؤية استراتيجية لمعالم صورتها المستقبلية، وعمق التحليل هنا يحتاج إلى نفاذ حقيقي في عمق الواقع واستكشاف مكوناته وعناصر القوة فيه. كما التعرف إلى سلبياته.

وهكذا فإن إرادة النهوض مدعوة للتخلص من ظاهرتين طبعتا الفكر العربي في العقود الأخيرة:

الظاهرة الأولى:

هي الغرق في سلبيات الواقع الراهن إلى درجة التمتع بجلد الذات، وتعميم اليأس، وإغلاق المنافذ حتى باتت الثقافة مقرونة بالتشاؤم، وبات المثقف الأهم هو الأقدر على الرؤية السوداوية للواقع.

الظاهرة الثانية:

هي الوقوف على الطرف النقيض من الظاهرة الأولى، لكنها مثلها نتاج مناهج متماثلة في التفكير، فهي ما يصطلح على تسمية بـ «الانتصار دائما» التي تغالي في تمجيد بعض الايجابيات إلى درجة لا تسمح لها بأن ترى ما يحيط بهذه الايجابيات من سلبيات، وترفض أي دعوة لاستكمال ما تحقق بما يحميه أو يصونه أو يطوره.

وكثيراً ما نجد بعض النخب وهي تنتقل بين الظاهرتين، بكل بساطة، فينقلون مجتمعهم أو حزبهم من أمل كاذب إلى يأس غير مبرر.

٢-آليات النهوض:

تقوم آليات النهضة القومية على ثلاثية مترابطة: «التواصل- التراكم - التكامل» التي يمكن تسميتها بثلاثية النهوض والتي تعطي في حال توفرها زخماً لكل تطور أو تقدم، كما يقود غيابها إلى التشرذم والتآكل والضمور، فهي محصنة بالرؤى والتحليلات والقوى والوسائل القادرة على تجسيدها في الواقع.

ولو دققنا قليلاً في هذه الثلاثية لاكتشفنا ما تنطوي عليه من معان ودلالات:

التواصل:

هو التربة التي يتحقق فيها الحوار، وتنمو فيها سعة الأفق، ويتعمق من خلالها النضج، وتسقط معها الحواجز المصطنعة والصراعات المفتعلة، وتبرز التصويبات بوجه تكرار الأخطاء والخطايا. إنه تواصل بين الأجيال كما بين الأفكار والعقائد، بين الأقطار كما الأحزاب، بحيث لا توضع خبرة بوجه أخرى، ولا قطر أو حزب في تناحر مع قطر آخر أو أحزاب مختلفة.

التراكم:

هو هرم التقدم، يرتفع معه البناء لبنة لبنة، وتتداخل فيه التجارب تجربة وراء تجربة، فيه تتحرر التفاصيل من الشياطين التي تسكنها، ومعه يتحول الصبر من موقف انتظاري إلى فضيلة تنموية، وإذا كان التراكم هو تحقيق التواصل على المستوى العمودي وفي الأفق التاريخي، فإن التكامل هو آلية تحقيق التواصل على المستوى الأفقي.

التكامل:

في ظل تكامل الأفكار والتيارات وتكامل الأقطار والأحزاب، وتكامل الأدوار والمهمات تخرج نظريتنا التي تغنى بالممارسة، من مرض الأحادية الفتاك، أحادية الفكر والتنظيم والفرد، وكلها عيوب لا تنحصر سلبياتها في نقص الرؤية، بل في حرمان المجتمع والأحزاب من طاقات كبرى لا تتحملها هذه الأحادية بل في منح الأعداء فرصاً نادرة في تسعير التناقضات الثانوية وتحويلها إلى حقائق مدمرة.

إن الإمساك بهذه الثلاثية يقودنا إلى حل الكثير من الإشكاليات القائمة فكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فلا تناقض في ظلها بين «القطري والقومي، ولا بين «الدولة والمجتمع» ولا بين «العروبة والإسلام» ولا بين «العرب والأقوام الأخرى الموجودة في الوطن العربي» لا بل إن الإمساك بها يبرز لنا أهمية الديمقراطية كطريق للنهوض، ويوضح لنا في الوقت عينه الطريق الحقيقي إلى الديمقراطية التي بات غيابها سمة ملازمة للنظام العربي الرسمي كما للمجتمع والأحزاب.

٣- شمولية النهوض:

إن نجاح أي مشروع نهضوي مرهون بقدرته على أن يحيط بكل قضايا الأمة وهمومها وتطلعاتها، فلا ينحصر بالسياسي من هذه القضايا أو بالاقتصادي، ولا يحاصر نفسه بأهداف ووسائل دون أهداف ووسائل أخرى.

فنهضة الأمة، ناهيك عن إسهامها الحضاري، تتجلى في كل ميادين الحياة التي تتكامل في عطائها وتتفاعل، كما أن النهوض ليس شأناً خاصاً بالدولة وحدها، أو المجتمع فقط، بل هو نتاج تفاعل صحيح وصحي بينهما معاً، فلا دولة تصادر دور المجتمع باسم التخطيط والتوجيه، ولا مجتمع يلغي دور الدولة باسم الحرية والمبادرات، بل علاقة جدلية متوازنة تحميها الصيغ الدستورية والقوانين.

٤- النهوض كمقاومة:

لا نعتقد أن أي تحليل موضوعي لحال الأمة العربية ولمقومات نهوضها يستطيع أن يتجاهل دور القوى الخارجية المعادية في إعاقة أي محاولة نهضوية، وفي السعي لوأدها، والأمثلة من تاريخنا المعاصر والحديث عديدة، وآخرها الاحتلال الانكلو - أمريكي للعراق المتلحف بأحداث ١١ أيلول ومكافحة «الإرهاب».

والحديث عن المعوقات الخارجية لا يهدف أبداً إلى التقليل من عناصر الخلل البنيوي الذي يعصف بواقع أحزابنا ومجتمعاتنا، كما لا يسعى على الإطلاق إلى الدعوة للانصراف عن معالجة هذا الخلل الداخلي بذريعة مقاومة التدخل الخارجي، لكن دور المعوق الخارجي يجب أن يبقى ماثلاً في الأذهان، وداعياً للتنبيه والحذر واليقظة في مختلف المراحل، وبالتالي يجب أن يكون حافزاً لكي تقترن إرادة النهوض بإرادة المقاومة لكل احتلال وبشكل خاص في فلسطين والعراق.

إن غياب المضمون المقاوم لأي مشروع نهضوي لا يجعله هشا قابلا للانكسار أو التهميش أو حتى التزييف فحسب، بل يحرم هذا المشروع أيضا من أجواء تعبوية مهمة تطلقها في الأمة حركة المقاومة، وتنجح من خلالها بتجاوز عقبات عديدة ومعوقات متنوعة تذوب معظمها في لهيب المقاومة المشتعلة في مواجهة الحركة الصهيونية الكلولونيالية والعولمة المتأمركة المتوحشة.

٥ - مؤسسات النهوض:

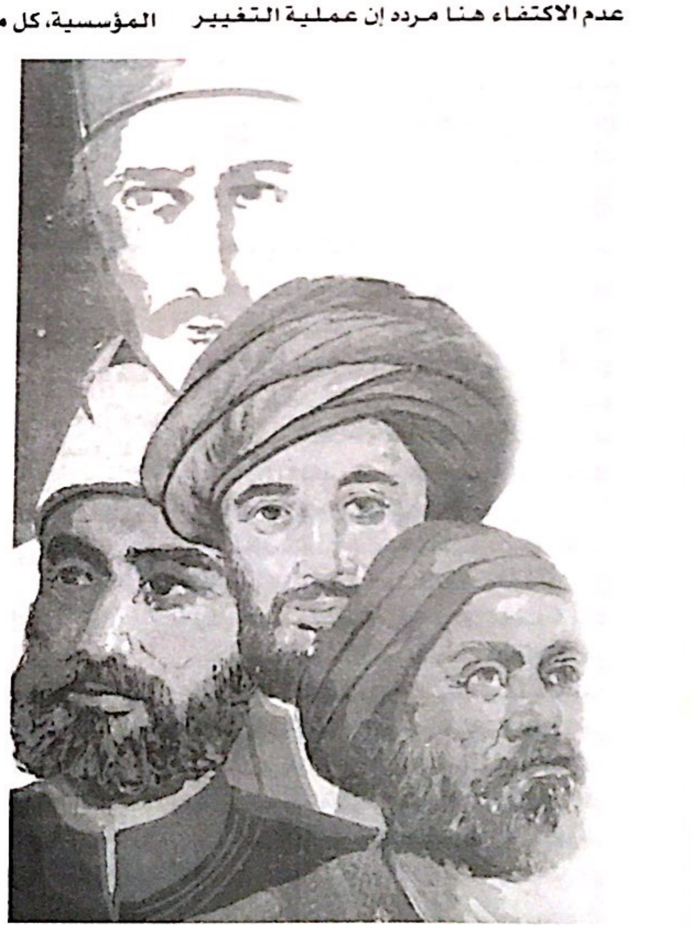
إن استخدام تعبير المؤسسات هنا يقصد به عدم الاكتفاء بالأحزاب والقوى السياسية التي يقفز إلى الذهن اسمها كلما جرى الحديث عن عملية التغيير في المجتمعات، وعدم الاكتفاء بكلمة الأحزاب والقوى السياسية هنا، ليس ناجما من واقع الأزمة العميقة التي تعيشها معظم الأحزاب في مجتمعنا، ولا سيما الأحزاب التوتاليتارية - الشمولية بشكل خاص، ولا من كون بعض الأحزاب القائمة لا يتعدى كونه إطارا للتعبير عن عصبوية تقليدية فرضتها ظروف معينة، ولا من كون بعض هذه الأحزاب كان مسؤولا عن الواقع المتردي الذي نعيشه، بل إن عدم الاكتفاء هنا مردد إن عملية التغيير والنهوض المنشودة هي من الاتساع والعمق بحيث تحتاج إلى انخراط كل قوى المجتمع ومؤسساته ومبادرات أبنائه فيه.

إنه باختصار ربط جدلي وخلاق لعملية النهوض الشاملة، التي هي تعبير عن حاجة تاريخية تعم المجتمع بأسره، بكل المبادرات الصغيرة التي تعبر عن حاجة محددة في محيط محدد وفي مجال بعينه.

إن الحديث عن دور المؤسسات في عملية النهوض يقود فورا إلى الحديث عن المجتمع المدني أو الأهلي ودوره، وإذا كان المجال لا يتسع هنا للحديث عن هذا المجتمع بمفاهيمه النظرية وتطور آلياته إلا أنه ينبغي التمييز بين المؤسسات الأهلية نفسها، فإذا كان العديد منها قد تشكل نتيجة مبادرات ناجمة عن تلمس الحاجة العميقة لها في مجتمعاتها، فإن البعض الآخر قد تم تشكيله أو الاستيلاء عليه، لاستيعاب حركة المجتمع المدني ومنعها من الوصول إلى أهدافها الطبيعية في التغيير والنهوض، أي نشأ وتكون في رحم حاجة قوى الواقع الراهن إلى حماية نفسها ومصالحها.

لكن ما يوازي بناء المؤسسات في أهميته، هو أن يسود العقل المؤسسي، والممارسة المؤسسية، كل مؤسساتنا القائمة سواء في السلطة أم في المجتمع حيث بتنا نلاحظ مع الأسف تماثلا وتطابقا في السلوك والممارسة بين المؤسسات الرسمية والأهلية على حد سواء.

فالفردية هنا وهناك، وغياب الشفافية هنا وهناك، وعدم تداول السلطة موجود هنا وهنا، وإقصاء الرأي الآخر يسود بالممارسة هنا وهناك، ففكرة العمل المؤسسي المتراكم تجمع بين تقاليد الديموقراطية وقواعد التنمية في آن معا، وتحقيق التواصل بين تجارب الماضي وهموم الحاضر وتطلعات المستقبل، وتنمي التفاعل بين مبادرة الفرد وقوة الجماعة، وتحقق الانتقال من النمو الكمي المتدرج إلى الطفرة النوعية المطلوبة، وتحقق التوافق بين روح الإبداع وسلامة المنهج المنظم.



٦ - شروط نجاح النهوض:

إن أول شرط من شروط النجاح هو المبدئية: بمعنى أن يعاد الاعتبار لسلطة المبدأ عند القادة السياسيين التي هي الوجه الآخر لاحترام قوانين ودساتير الدولة والحزب والمجتمع.

الشرط الثاني هو الأخلاق: حيث لا تبرر الغاية الوسيلة، وحيث يجب أن يسود الصدق مع النفس ومع الآخر، فالصدق توأم الشجاعة ومنها تنبع كل الفضائل الأخرى، وإذا كان من مدلول سياسي لهذا الشرط بلغة هذه الأيام فهو مدلول الشفافية.

الشرط الثالث - هو تماهي الثقافي بالسياسي: الذي بات محاصرا بآرائه ورموزه، بدرجة عالية من السطحية والرتابة والاجترار، والتي لا يمكن الخروج منها إلا بنفحات ثقافية عميقة تفتح الأبواب لهواء التجديد والإبداع في الأفكار والوسائل، وفي الرؤى والآليات. فالقوانين الاجتماعية، كما التاريخية، أبرزت العلاقة الجدلية بين الحيوية السياسية والنهوض الثقافي، فالأولى تطلق عقال الثانية، والثانية تلهم الأولى وتغنيها.

لقد أصيب العمل السياسي العربي بالقصور والجمود، حين جفت مصادر الهامة الثقافية، تماما مثلما بليت الثقافة العربية بمحنتها الراهنة حين أصبح العمل السياسي العربي سجين التكلس البيروقراطي، وأسير شهوة السلطة بأي ثمن، بل تحولت السياسة إلى فن قمع الآخر وإلغائه.

الشرط الرابع - هو ربط السياسة بالعلم: وبكل العلوم الاجتماعية الأخرى من اقتصاد واجتماع وتاريخ وفلسفة وعلم نفس وتربية ومعلوماتية وغيرها، بل أن يغتني أيضاً بالعلوم الطبيعية ذاتها، وذلك نظراً للأثر البالغ الذي يتركه تطور العلوم والاختراعات البشرية على تطور المجتمع نفسه، وبالتالي على تطور علم السياسة الذي هو في النهاية علم قيادة المجتمع وإدارته، فأي قيمة فعلية لحركة سياسية لا تبني نفسها أو تستند في عملها على مراكز أبحاث علمية ودراسات استراتيجية، تماماً كما تبني خلاياها وتصدر النشرات والصحف ووسائل الإعلام.

هذا تكثيف لأفكار ورقة «مشروع النهضة - ورقة للحوار» نضعها بين يدي القارئ، مع التأكيد على أن النهوض، من أي المداخل أردناه، يبدأ بالإنسان، فإرادة الإنسانية هي الأقوى من كل الأدوات والوسائل والقيود، لأنها الأقدر على التحكم بها، وعلى التعامل معها بذكاء ووعي يبقيان مع الديمقراطية والشفافية ركائز أي عمل إنساني مبدع.

الجريمة الإسرائيلية العلنية

السور العازل أفعى تلتهم الأراضي الفلسطينية وتحول عشرات الآلاف إلى سجناء

سمير الزين

جريمة علنية ترتكب منذ أكثر من عام في الأراضي الفلسطينية أمام أنظار العالم، وهي جريمة مستمرة اليوم، وستستمر إلى أشهر قادمة، جريمة من أبشع الجرائم العنصرية التي يشهدها القرن الحادي والعشرين، مصادرات عنصرية وقضم أراض بآلاف الكيلو مترات تقتطع من الأراضي الفلسطينية، حقوق شعب وحقوق أفراد فلسطينيين يتم الاستيلاء عليها من قبل أسوأ أنواع الاحتلالات التي شهدتها البشرية. وتحت عناوين أمنية لا معنى لها، ولا تبرر سرقة الأراضي من قبل الاحتلال، تستولي إسرائيل عبر إقامة «السور العازل» على الأراضي والحقوق الفلسطينية، مستكملة الجريمة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، مضيفة آلام جديدة إلى الآلام التي عرفها الفلسطينيون المتراكمة خلال العقود الستة الماضية.

في تعليقه على الانتفاضة الفلسطينية وما يجري في الأراضي الفلسطينية قبل أكثر من عام، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون، إن ما يجري هو استكمال لحرب «الاستقلال»، وإذا كانت الجريمة الكبرى التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني هي تلك التي يسميها شارون حرب الاستقلال، والتي كلفت الفلسطينيين وطنهم الذي طردوا منه، فإن استكمال هذه الحرب، حسب مجرم الحرب شارون، يعني استكمال الجريمة التي ارتكبتها الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني.

يتجسد هذا الاستكمال في السور العازل الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية، والذي يقتطع مئات آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية، ويعزل السكان عن أرضهم ويقسم عشرات القرى إلى شطرين... الخ، من الجرائم التي ترتكب بحق الفلسطينيين من جراء بناء هذا السور العازل.

تحت ذريعة الأمن والفشل الإسرائيلي في قمع الانتفاضة الفلسطينية، وعدم رغبة إسرائيل واستعدادها لتقديم التنازلات اللازمة من أجل إنجاز السلام الحقيقي في المنطقة، اعتبرت إسرائيل أن الحل أمامها بإقامة سور عازل يعزل إسرائيل عن الأراضي الفلسطينية. وفي دفاعها عنه اعتبرت إسرائيل أن السور هو مجرد سور أمني وليس سورا سياسيا ولا يرسم حدودا مع الفلسطينيين. وصادقت حكومة حزبي الليكود والعمل المشتركة السابقة على خطة طوارئ لإقامة سور عازل متواصل بطول ٣٦٤ كيلومترا، بكلفة مليون دولار للكيلو متر الواحد، على أن يقام في قلب الضفة الغربية.



وقد غادر حزب العمل الحكومة الإسرائيلية، واليوم تقود حكومة يمينية إسرائيل، وهي التي تستمر في بناء السور العازل الذي انتهت المرحلة الأولى منه، وشرعت إسرائيل في بناء المرحلة الثانية.

في هذه المرحلة من بناء السور تبين بشكل أكثر وضوحا أن وظيفة السور العازل تتجاوز الوظيفة الأمنية لترسم بالأمر الواقع ومن طرف واحد خريطة المنطقة وقبل الوصول إلى حل من أي نوع، بل وقبل الوصول إلى طاولة المفاوضات أصلا. ولم يكن مقنعا لأي كان أن إسرائيل توظف ما يقارب النصف مليار دولار من أجل حل مؤقت، حتى لحليفتها الرئيسية الولايات المتحدة التي تنتقد السور انتقادات خجولة وتعتبره معيقا للحل، بل إن ما يرسم اليوم في قلب الضفة الغربية من خلال هذا السور الذي يشقها ويصادر أراضيها بلا رحمة، ما هو سوى جزءا أساسيا من استراتيجية حكومة شارون. في قضم المزيد من الأراضي الفلسطينية من جانب، ومن جانب آخر تكريس أمر واقع على الأراضي الفلسطينية لا يمكن التراجع عنه مع أي عودة

لطاولة المفاوضات، هذا إذا تمت هذه العودة. وبذلك تكون الحكومة اليمينية، قد حققت إنجازات على الأرض في ظل ادعاءاتها باتخاذ إجراءات لمحاربة ما تسميه «الإرهاب الفلسطيني، الذي توظفه كذريعة لفرض الأمر الواقع وتكريس رؤيتها لمستقبل الأراضي الفلسطينية، بدل أن تدفع ثمن احتلالها للأراضي الفلسطينية. وبحكم الطبيعة الاستيلائية للسور العازل ووظيفته العنصرية، فإن الادانات له جاءت من كل حدب وصوب، حتى من الإدارة الأميركية المدافعة عن إسرائيل وعن سياستها وجرائمها. لم تستطع أن تدافع عن هذا السور العنصري، والذي يشكل جريمة تفقأ العين لكل من يريد أن يرى حتى بنصف عين إلى الواقع القائم اليوم في الأراضي الفلسطينية.

كما بات من الواضح أن أرئيل شارون، الرجل الذي ساد الاعتقاد أنه يدير الأزمة الإسرائيلية على قاعدة الخروج بأقل الخسائر من جراء الانتفاضة الفلسطينية. هو ذاته الرجل الذي يدير سياسة إسرائيلية تسعى في ظل الفوضى التي يشهدها العالم والمنطقة والوضع في الأراضي الفلسطينية، وعلى خلفية الدم السائل في الأراضي الفلسطينية منذ ثلاث سنوات، إلى تعزيز المشروع الصهيوني من خلال قضم مزيد من الأراضي عبر السور العازل، وضم الأغلبية الساحقة من المستوطنات داخل هذا السور وتكريسه بوصفه حدودا آمنة لا يمكن لإسرائيل التراجع إلى ما وراءها. ويعتقد أن دوي القذائف الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية ستغطي على هذه السياسة العنصرية.

تحاول إسرائيل عدم المواجهة مع الولايات المتحدة في هذه الظروف، وبشأن السور العازل بالذات، خاصة بعد الانتقادات الأميركية والتي كان أوضحها تصريحات وزير الخارجية الأميركي كولن باول لصحيفة «واشنطن بوست»، حول موضوع بناء السور العازل، الذي قال: «إن مسار السور الذي أقرته الحكومة الإسرائيلية يحدد مسار الحدود المستقبلية بين إسرائيل والدولة



الفلسطينية». والتصريحات الإسرائيلية تؤكد أنه لن يتم وقف بناء السور العازل، رغم كل الانتقادات والاحتجاجات التي يواجهها بناء هذا السور سواء من الفلسطينيين أو من الدول الغربية، مكررة بشكل دائم الحجة إياها من أن الوظيفة الوحيدة للسور العازل هي الوظيفة الأمنية، وليس له وظيفة سياسية، وهذا لا يقنع أحد حتى باول كما يدل عليه تصريحه المذكور سابقاً.

رغم هذه التصريحات الأمريكية والدولية التي تنتقد وتدين السور العازل، صادقت الحكومة الإسرائيلية قبل أسابيع وبأكثرية كبيرة على خطوط السور العازل ذاتها في المرحلة الثانية من بنائه. وهذه الخطوط التي تمت المصادقة عليها تشمل في داخلها مستوطنات اريئيل، كرني شومرون، وكيدوميم. بموجب القرار ستكون المستوطنات الثلاث في المستقبل داخل السور العازل بواسطة أصابع ستمتد إليها من الخط الأصلي على أن تترك ثغرات داخل السور الآن حول هذه المستوطنات تستكمل لاحقاً. وتقرر في المرحلة الأولى سيبقى فقط ثلاث «حدوات مختلفة الأشكال» مسيجة ووسط حواجز حول المستوطنات الثلاث، وهي ستوصل بسياج الفصل في موعد لاحق. وهذا القرار يبقي ٦٠ ألف فلسطيني مسجونين في الجيوب التي سيخلفها السور العازل وراءه بعد استكمال بناء المرحلة الثانية.

إبقاء الثغرات في السور يقوم على تقدير إسرائيلي بأن الولايات المتحدة ستخفف اهتمامها بالصراع القائم في الأراضي الفلسطينية مع اقتراب موعد الانتخابات الأمريكية التي بدأت تقترب سريعاً، في ظل إرباك إدارة بوش بما يجري في العراق، ما يربك حملته الانتخابية منذ اليوم، وهو بذلك لا يحتاج إلى مشكلة أخرى مع اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة. وقد تحدث الصحفي الإسرائيلي بن كيسيف في صحيفة معاريف عن هذا التقدير، هو التقدير القائم في إسرائيل عندما كتب يقول: (تميل الولايات المتحدة إلى تقليص تدخلها في ما يحدث في النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين والانتقال من وضع محاولة التوصل إلى «حل نزاع» إلى وضع وسطي لـ «إدارة نزاع» فقط. هذا هو التقدير المتبلور في الأسابيع الأخيرة في القدس). وقد قال مسؤول سياسي كبير في إسرائيل (إن إنشاء



«الأصابع» المتدرج، يستهدف منع مجابهة مع الأميركيين والإضرار بأموال الضمانات. بموازاة بناء الحدوات، سيبدأ عمل محموم لبناء بقية السور على طول الخط الذي تم التصديق عليه).

وحسب بن كيسيف أيضاً، ينبع قرار رئيس الحكومة شارون بتأجيل المجابهة المتوقعة مع الأميركيين حول مسألة السور العازل (خصوصاً في أريئيل)، من بين أمور أخرى، عن التقدير أنه بعد نصف سنة لن يهتم الأمريكيون بهذه المسألة أبداً. الجمهوريون لن يجازفوا بمجابهة مع اللوبي اليهودي عشية الانتخابات، والتي تكون وقتها قد بلغت أوجها في الصراع للوصول إلى البيت الأبيض بين المتنافسين على الرئاسة الأمريكية.

ما تقوم به حكومة شارون هو استكمال للجريمة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، وهي تنتظر دخول الإدارة الأمريكية دوامة الانتخابات الأمريكية لتعزيز الوقائع على الأرض، وهي الفترة الأنسب لإغلاق الثغرات التي أبقاها في السور العازل، وفي دوامة الانتخابات الأمريكية، تكون الجريمة في أوجها طالما لم يوقف السور الآن. وهو ما يعني أن الحكومة اليمينية في إسرائيل تسعى من خلال سياستها إلى إيقاع كارثة جديدة في الشعب الفلسطيني، والنصر عليه من خلال الكوارث التي يمكن إيقاعها بكل الأساليب، طالما أن رئيس الحكومة يعتبر أن ما يجري في الأراضي الفلسطينية هو «استكمال لمعركة الاستقلال لإسرائيل»، وهو ما يعني جرائم جديدة بحق الشعب الفلسطيني، فالدولة التي بنت «استقلالها» على آلام ودماء وحقوق الشعب الفلسطيني، فهي تستكمل «استقلالها» عبر جرائم جديدة ودماء فلسطينية تنزف من جديد جراء الجرائم الصهيونية المستمرة بحق الشعب الفلسطيني منذ أكثر من نصف قرن.

عودة الدور الروسي إلى شرق المتوسط من البوابة الفلسطينية...!

محمد صوان

في زيارته الثالثة إلى موسكو، خلال فترة ترؤسه حكومة أقصى اليمين، سعى شارون لثني موسكو عن طرح مشروع القرار الذي تريده، ملزماً لواشنطن ولطرفي الصراع العربي - الإسرائيلي على مجلس الأمن الدولي، والمتضمن اعتماد خريطة الطريق كمرجع قانوني .. لجميع الأطراف على حد سواء.. في نفس الوقت واصل «السفاح» الضغط على الكرملين لوقف التعاون النووي مع طهران، وأعلن أفغدرو ليبرمان أشد أعضاء الحكومة الليكودية تطرفاً وعداوة للعرب الذي اصطحبه شارون معه: «على روسيا أن تعامل طهران باعتبارها دوله راعية للإرهاب وأن تحذو حذو الولايات المتحدة في فرض العقوبات على إيران ومنعها من امتلاك السلاح النووي».

هذا وفتح شارون مجدداً ملف التعاون العسكري بين دمشق وموسكو، الذي لاحت بوادر استئنافه بعد زيارة نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام إلى موسكو في ربيع العام الحالي. وكانت إسرائيل قد نجحت في تجميد صفقة صواريخ أرض - جو من طراز «إيغلا» لسورية بذريعة: «أن دمشق تسعى لنقلها إلى حزب الله اللبناني، والمقاومة الوطنية العراقية». كما ذكرت الصحف الصادرة في روسيا التي يمولها بارونات الإعلام الصهيوني.

تأتي الحملة الدعائية للصحافة الصهيونية في روسيا بالتساوق مع الضغط السياسي الأمريكي على دمشق. ويرى عدد من الخبراء الروس المهتمين بشؤون الشرق الأوسط أن الجانب الدعائي وحملة التشويه والدس على سورية وإيران، مثلت ركناً أساسياً من مباحثات شارون في موسكو، التي ختمها بلقاء صاحب مع رؤساء المنظمات اليهودية والصهيونية داعياً لمن بقي من «اليهود» في روسيا للهجرة إلى «أرض الميعاد». على الرغم أن عدداً من رموز الحركة الصهيونية في روسيا يتحكمون اليوم بالعتلات الاقتصادية والإعلامية ويؤثرون في صنع القرارات السياسية بدرجة لا تقل عن تأثير وسطوة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد حاولت موسكو وبعقل مفتوح على الجميع وضع نهاية لحالة التذبذب الأمريكي - الإسرائيلي في التعامل مع صيغة «الحل السلمي» التي ارتضاها الجانب الفلسطيني والعربي على رغم الاجحاف الذي تتسم به، لكن شارون أبدى كثير الانزعاج والحنق لما تنوي فعله روسيا، ويشاركه هذا الانزعاج والحنق غلاة التصهين في الإدارة الأمريكية. وفي حمأة هذا الانزعاج والحنق توجه شارون إلى موسكو لممارسة الضغط على القيادة الروسية الحالية كي تصرف النظر عما تسعى دبلوماسيتها إلى تحقيقه، وهو تحويل خريطة الطريق إلى أمر واقع دولي بحيث تصبح مثل القرار ٢٤٢ أو القرار ٣٣٨ أو القرار ٤٢٥، أي أنها ملزمة، ولا مناص لأي دولة عضو في الأمم المتحدة سوى القبول بها، والدعم لها. وهذا التدويل له «فضيلة» أخرى هي أن خريطة الطريق، وعلى رغم كونها أمريكية المنشأ يمكن أن تكون خطة الجميع، وبما يعني أن لا يعود هنالك تفرد من جانب دولة واحدة هي الولايات المتحدة، تسعى إلى الحل الجزئي للصراع العربي - الإسرائيلي، ونقصد بهذا الحل تسوية سياسية فلسطينية - إسرائيلية يصبح الانطلاق منها للبحث الأوسع في تسوية.. الصراع العربي - الإسرائيلي أمراً على درجة من اليسر.

من هنا، فإنه عندما يستعجل شارون السفر إلى موسكو ويكون الغرض من الزيارة ليس فقط فك العزلة الدولية عنه - هي عزلة أقسى من حصاره للشرعية الفلسطينية ممثلة بالرئيس عرفات - وإنما لضرب المسعى الروسي، فهذا مؤشر جديد إلى أن شارون هو ضد أي تسوية وإنه يقاتل من أجل عدم فتح أي نافذة صغيرة يتسلل منها الضوء إلى عتمة الواقع الفلسطيني والعربي. كما أن ذلك مؤشر إلى أنه متمرد حتى على الحليفة العشوائية له، ومع ذلك فإن هذه الإدارة -راضية أو صامتة - ستطلب من الكونغرس منح إسرائيل معونة عسكرية قيمتها ٢.٢٥ مليار دولار في السنة المالية ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ بزيادة ١٠٠ مليون دولار عن سنة ٢٠٠٣، وهي منحة تثير الدهشة، لأن إسرائيل معتدية وليست معتدى عليها من أحد. ولهذا فمن غرائب أمور هذا الزمن الصهيوأمركي، أن المعتدي الإسرائيلي يحظى بـ «الكرم البوشي»، بينما المعتدى عليهم وهم فلسطين وسورية وإيران يمطرهم بوش وإدارته بالتهديدات والاستفزازات والافتراءات وآخرها «قانون المحاسبة» الذي يتم إنعاشه على الدوام من جانب الكونغرس، بدل أن يكون دور هذه المؤسسة التشريعية هو ترشيد «الموقف الشاروني - البوشي» ما دام الدعم والاسناد الأمريكي يتدفق على إسرائيل كما لم يحدث مع أي دولة أخرى حليفة للولايات المتحدة الأمريكية.

على الرغم من تذبذب الموقف الروسي بين الحين والآخر ومسايرة تل أبيب من أجل استرضاء واشنطن في موضوع العلاقة النووية الروسية - الإيرانية، فإننا من باب الافتراض نرى أن عودة محتملة لروسيا عن سعيها لتدويل خريطة الطريق سيطال مكانتها في المحيط العربي والإسلامي، وسيجعل شوكتها كثيرة اللين في المحيط الدولي. ومن هنا فإن احتمال التراجع عن ذلك المسعى ضئيل ليس من أجل الشعب الفلسطيني، وانما من أجل روسيا - بوتين التي تشير التطورات إلى أنها تريد استعادة بعضاً من المجد السوفياتي الغابر، وانها تسلك في هذا السبيل طريق الدخول عبر البوابة الفلسطينية إلى الشرق الأوسط، وما رغبة الرئيس بوتين في انضمام بلاده إلى «منظمة المؤتمر الإسلامي» كعضو مراقب في القمة الإسلامية العاشرة في ماليزيا، سوى خطوة تمهيدية في الاتجاه الذي نشير إليه، إضافة إلى زيارته المرتقبة إلى



المملكة العربية السعودية، التي ربما تؤسس لعلاقة تقي المنطقة شرور مفاجآت أمريكية ... اسرائيلية ناشئة عن التخبط البوشي الشاروني في التعامل مع قضايا المنطقة. وهو تخبط لم تجد فيه نصائح أصدقاء الولايات المتحدة أي نفع، بدليل ما يحدث يوميا على أرض فلسطين والعراق، وما يستتبعه من تصريحات لمسؤولين أمريكيين تثير القلق... ولا تبشر على الاطلاق بالخير..!

مهما يكن، فإن مباحثات شارون في موسكو جاءت في مرحلة تشهد فيها العلاقات الروسية - الأمريكية جفاء ملموسا على خلفية انتقادات واشنطن لاعتقال الملياردير الصهيوني ميخائيل خودرو كوفسكي، مدير الشركة النفطية الروسية العملاقة «يوكوس» بتهم الاختلاس والاستيلاء غير المشروع على الأموال والممتلكات والتهرب من دفع الضرائب وهي انتقادات اعتبرها المتحدث باسم الخارجية الروسية «تدخلا فظا وغير مقبول في شؤون القضاء الروسي». هذا، وندد المتحدث بما وصفه سياسة «المعايير المزدوجة» التي اعتادت واشنطن على ممارستها إزاء العديد من القضايا. كما استبعد المتحدث أن تذعن موسكو «للضغوط الأمريكية والإسرائيلية» أو تستجيب لمطالبهما تماما.

ويسود الانطباع في أوساط المحللين والمهتمين الروس أن موسكو تدرك حقيقة المأزق الذي تعيشه كل من واشنطن وتل أبيب، فتسعى عبر تحركها الدبلوماسي أن تنتزع أكبر قدر من التأييد لتسوية الوضع المتفجر في فلسطين والعراق، سعيا وراء تنشيط الحضور الروسي في الشرق الأوسط، ومن هذا المنطلق يأمل الجميع أن يرفض الرئيس بوتين هذا التدخل الاسرائيلي والأمريكي ضد مشروع القرار الذي سيحمله المندوب الروسي إلى مجلس الأمن قريبا ويعمل بدلا من ذلك على اقناع بوش وشارون بقبول مشروع السلام العادل والشامل شكلا ومضمونا.

خلاصة القول:

تركت زيارة شارون إلى موسكو، الكثير من علامات الاستفهام حول مضمون النتائج، لا سيما وأن موسكو تسعى بكل ما لديها من ثقل للعب دور ريادي في مواجهة الأحادية الأمريكية، وأن بوتين يضع ثقله الدبلوماسي لمساندة الاتحاد الأوروبي في مشروع إعادة الاعتبار لخريطة الطريق وعودة الروح إلى رباعية مدريد الدولية، لأن هذا من وجهة نظره: «هو الحل الوحيد للوقوف في وجه التفرد الأمريكي وغطرسته». لقد بدأت الدبلوماسية الروسية بصياغة سلسلة ملاحظات حول الأوضاع في الشرق الأوسط عامة، وفلسطين خاصة، على أن يصار إلى تضمين هذه الملاحظات لمشروع خريطة الطريق الجديد، وبما يساهم في قبول جميع الأطراف عند إدراج هذا المشروع كقرار صادر عن الأمم المتحدة، لهذا فإن روسيا التي سمعت من شارون هواجسه وملاحظاته، ستسعى إلى عرضها على الاتحاد الأوروبي.

لكن في الوقت عينه، فإن اي تعديل على خطة خريطة الطريق ربما لن يشهد النور، لأن الاتحاد الأوروبي الذي لعب دور العراب في صياغة بنود «الخريطة» لن يقبل بأي تعديل قد يؤدي إلى نسف الخطة من أساسها.

أما ما يقال عن مشاريع لتوطين الفلسطينيين في الدول العربية، فإن روسيا التي دعمت قرارات الأمم المتحدة والجامعة العربية التي دعت إلى التمسك بحق العودة، لن تتراجع اليوم عن دعمها لهذه القرارات، كما أنها لن تتراجع عن ما ورد في خريطة الطريق بهذا الخصوص، والكل يعلم أن الخريطة لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد لملف التوطين، بل تركته معلقاً إلى مفاوضات لاحقة تكون نتيجة لتطبيق بنود الخريطة.

من هنا، فإن الموقف الروسي لن يتبدل في مفهومه، ولم يتأثر بأي جديد، أثر زيارة شارون إلى موسكو، لا بل، إن المساعي الروسية جارية على قدم وساق من أجل عودة المفاوضات السلمية إلى المنطقة، على أن يطرح ملف اللاجئين في مفاوضات منفصلة، وفي تعليقه على زيارة شارون إلى موسكو قال وزير الخارجية الروسي ايفانوف: «إن موسكو والاتحاد الأوروبي اللذان يواجهان أشد العراقيل صعوبة في مواجهة التفرد الأمريكي، بحاجة إلى التنسيق والعمل المشترك من أجل التوصل إلى حلول واقعية لمشاكل الشرق الأوسط، بعدما تعرضت الإدارة الأمريكية إلى كثير من الخيبات، أدت إلى فقدان الثقة الدولية بسياستها الخارجية».

من هنا يمكن وضع الحركة الدبلوماسية الروسية وجهودها باتجاه المنطقة ضمن العناوين التالية:

أولاً:

إن العامل الأساسي لتلك الاندفاعه الدبلوماسية الروسية سيتمحور حول الوضع الإقليمي وما يترتب عليه من مخاوف جمة، خصوصاً ضمن هذا المثلث الفلسطيني - السوري - اللبناني المرتبط بحالة صراع تاريخي مع إسرائيل، مما يستدعي بذل جهود دولية حثيثة لبقاء الأوضاع مسيطراً عليها، وحض جميع الأطراف على الحفاظ على ضبط النفس.

ثانياً:

تتركز الجهود الروسية كذلك نحو القضية العراقية، وضرورة إعطاء دور لأبناء العراق في حل مشاكلهم بأيديهم، واستعادة سيادة وطنهم واستقلاله، وتمكين الأمم المتحدة من القيام بدورها المحوري في هذا السياق لكونها تشكل حالة قبول من جميع الأطراف العراقية والعربية وحتى الدولية.

ثالثاً:

تتركز الحركة الدبلوماسية الروسية الجديدة على الوضع الفلسطيني من كافة جوانبه خصوصاً خريطة الطريق وإعادة تنشيط عملية الاتصالات والمشاورات بشأنها؛ ومن المستجدات التي فرضت نفسها على الأجندة الدبلوماسية الروسية أيضاً التهديدات الأمريكية والإسرائيلية لسورية وإيران، خصوصاً بعد العدوان الإسرائيلي الغاشم، وبدعم أمريكي على مخيم «عين الصاحب المهجور».

صنع الله إبراهيم

يرسم معايير جديدة للنزاهة

لماذا أثار رفض صنع الله ابراهيم لجائزة الرواية العربية، كل هذا اللغط الهائل من ردود الأفعال المتناقضة في صفوف المثقفين المصريين والعرب؟!

لماذا صفق له البعض بحرارة بالغة بما في ذلك بعض أعضاء لجنة التحكيم، واعتبر البعض موقفه مجرد، تمثيلية رخيصة، و، عرضا مسرحيا هزليا،؟!

لماذا شعر البعض بالصدمة.. ولماذا اشتعل البعض توهجا على اعتبار أن موقف صنع الله أعاد للثقافة المصرية اعتبارها؟!

نسأل هذه الأسئلة، لأننا إذا دققنا في الأسماء، سواء التي انتصرت لموقف صنع الله، أو التي أعلنت سخطها عليه، وجدنا أنها أسماء لامعة في الثقافة العربية، ومن الصعب الفرز بينها على أساس فكري أو سياسي، وكذلك من الصعب التشكيك - بالجملة - بنزاهتها ، فعلى الأقل، لجنة التحكيم كما نعلم مكونة من أسماء كبيرة على رأسها الطيب صالح، ويشارك فيها محمود أمين العالم، وعبد الله الغذامي، وفريال غزول وفيصل دراج ومحمد برادة.

حقيقة استطاع صنع الله ابراهيم بضربة واحدة ، خلط الأوراق وإعادة فرزها، ليس لأنه رفض الجائزة فحسب، بل للطريقة التي أخرج بها موقفه، والتوقيت الذي اختاره لإعلان رفضه للجائزة.

لقد مارس صنع الله بامتياز مكر الروائي البارع.. وتكتيك السياسي المراوغ في اختيار اللحظة المناسبة، كي يفاجيء الجميع، فيخلع قفازه، ويرمي به في وجود مانحي الجائزة، المؤسسة الرسمية، دون أن يفوته التنويه الى أنه يرفض الجائزة من الحكومة المصرية، التي لا تملك في نظره مصداقية منحها، لا من لجنة التحكيم التي يجل ويحترم.

لو أن صنع الله رفض الجائزة في اللحظة التي أبلغ بها النبأ، أي قبل أيام من الإعلان الرسمي عنها، لربما مر الحدث دون أية أصداء، لأنه سيتيح بذلك الفرصة أمام أصحاب المؤسسة الرسمية لإعادة النظر وتدارك الموقف، ولكنه آثر الصمت، وأعطى نفسه وقتاً للتفكير، وهنا مارس مكر الروائي ، ومراوغة السياسي، حتى يفجر قنبلته التي تتالت أصداؤها..

ولو أنه تبرع بها - كما طالب البعض - للشعب العراقي أوالفلسطيني، لبدا موقفه وسطياً توفيقياً رخواً، لأنه بذلك يكون قد تصرف بها، أي قبلها ضمنياً.

أراد صنع الله أن يتسق مع نفسه وإبداعه، فلا يقبل رشوة من جهة يهاجمها، وله كامل الحق بذلك، إلاّ أنه بالطريقة التي أعلن بها موقفه،وهذا هو الأهم، صفع المواقف المزدوجة المائعة لبعض المثقفين المصريين والعرب، الذين ينظرون لحرية الفكر وحقوق الإنسان والديمقراطية والتنوير والاستقلال وهم في الآن ذاته يعيشون على موائد السلطان، ويضربون بسيفه.

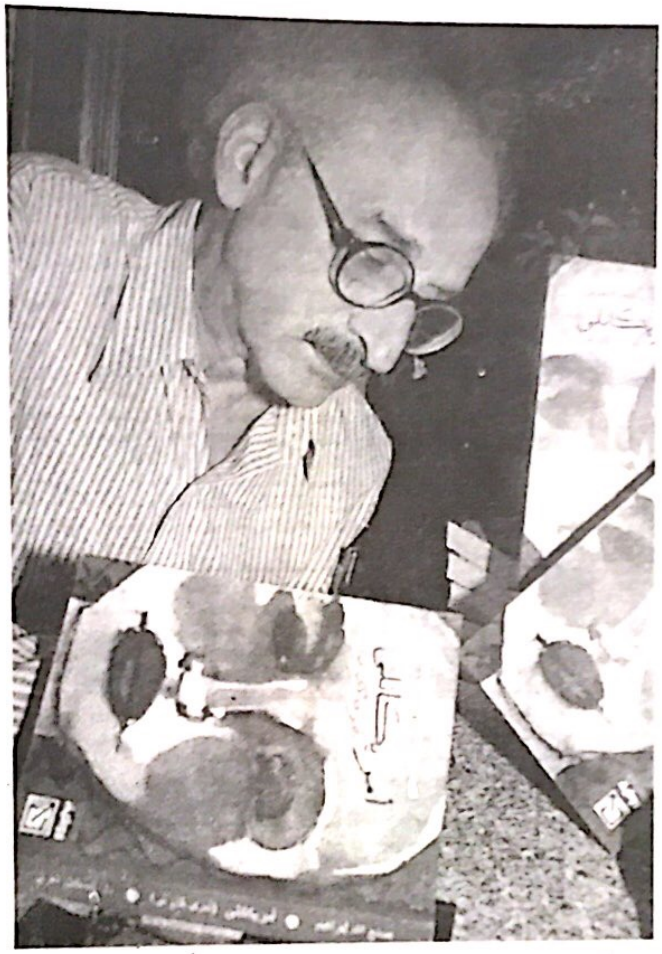
لقد فضح صنع الله ازدواجية هؤلاء، وعراهم وأسقط عنهم ورقة التوت، وبات مطلوباً من المثقفين العرب من الآن فصاعداً، الاحتكام الى معايير جديدة للنزاهة قوامها البسيط: الوضوح والشفافية والصراحة مع الذات أولاً.



ثقافة وفنون

النص الكامل لكلمة صنع الله إبراهيم

في ختام مؤتمر الرواية العربية



لست قادرا على مجاراة الدكتور جابر عصفور في قدرته على الارتجال، ولهذا فقد سطرت بسرعة كلمة قصيرة أعبر بها عن مشاعري.

وصدقوني إذا قلت إني لم أتوقع أبدا هذا التكريم كما أني لم أسع يوما للحصول عليه. فهناك من هم أجدر مني به: بعضهم لم يعد بيننا مثل غالب هلسا الأردني وعبد الحكيم قاسم المصري ومطيع دماج اليمني وعبد العزيز مشري السعودي وهاني الراهب السوري.. والبعض الآخر ما زال يمتعنا بإبداعه مثل الطاهر وطار وإدوارد الخراط وإبراهيم الكوني ومحمد البساطي وسحر خليفة وبهاء طاهر ورضوى عاشور وحنا مينه وجمال الغيطاني وأهداف سويف والياس خوري وإبراهيم أصلان وجميل عطية وخيري شلبي وفؤاد التكرلي وخيري الذهبي وغيرهم.

لقد جرى اختياري من قبل أساتذة أجلاء ورواد للإبداع يمثلون الأمة التي أصبح حاضرها ومستقبلها في مهب الريح، وعلى رأسهم أستاذي محمود أمين العالم الذي زاملته في السجن وتعلمت على يديه وأيدي رفاقه قيم الوطنية الحقة والعدالة والتقدم.

وهذا الاختيار يثبت أن العمل الجاد المثابر يجد التقدير المناسب دون ما حاجة إلى علاقات عامة أو تنازلات مبدئية أو مداهنة للمؤسسة الرسمية التي حرصت دائما على الابتعاد عنها.

على أن لهذا الاختيار قيمة أخرى هامة. فهو يمثل تقويما لنهج في الإبداع اشتبك دائما مع الهموم الآنية للفرد والوطن والأمة.

إنه قدر الكاتب العربي. ليس بوسعه أن يتجاهل ما يجرى من حوله، وأن يغض الطرف عن المهانة التي تتعرض لها من المحيط للخليج. عن القهر والفساد، عن العربدة الإسرائيلية والاحتلال الأمريكي، والتواطؤ المزري للأنظمة والحكومات العربية في كل ما يحدث.

في هذه اللحظة التي نجتمع فيها هنا تجتاح القوات الإسرائيلية ما تبقى من الأراضي الفلسطينية وتقتل النساء الحوامل والأطفال وتشرد الآلاف وتنفذ بدقة ومنهجية واضحة خطة لإبادة الشعب الفلسطيني وتهجيره من أرضه. لكن العواصم العربية تستقبل زعماء إسرائيل بالأحضان، فعلى بعد خطوات من هنا يقيم السفير الإسرائيلي في طمأنينة، وعلى بعد خطوات أخرى يحتل السفير الأمريكي حيا بأكمله بينما ينتشر جنوده في كل ركن من أركان الوطن الذي كان عربيا.

ولا يراودني شك في أن كل مصري هنا يدرك حجم الكارثة المحيقة بوطننا، وهي لا تقتصر على التهديد العسكري الإسرائيلي الفعلي لحدودنا الشرقية ولا على الإملاءات الأمريكية وعلى العجز الذي يتبدى في سياسة حكومتنا الخارجية إنما تمتد إلى كل مناحي حياتنا، لم يعد لدينا مسرح أو سينما أو بحث علمي أو تعليم لدينا فقط مهرجانات وصندوق أكاذيب.. لم تعد لدينا صناعة أو زراعة أو صحة أو عدل، تفشى الفساد والنهب ومن يعترض يتعرض للامتهان والضرب والتعذيب.

انتزعت القلة المستغلة الروح منا، الواقع مرعب. وفي ظل هذا الواقع لا يستطيع الكاتب أن يغمض عينيه أو يصمت. لا يستطيع أن يتخلى عن مسؤوليته. لن أطالبكم بإصدار بيان يستنكر ويشجب، فلم يعد هذا يجدي، لن أطالبكم بشيء فأنتم أدرى مني بما يجب عمله.

كل ما أستطيعه هو أن أشكر مرة أخرى أساتذتي الأجلاء الذين شرفوني باختياري للجائزة، وأعلن اعتذاري عن عدم قبولها لأنها صادرة عن حكومة لا تملك - في نظري - مصداقية منحها وشكرا.

صنع الله إبراهيم

٢٠٠٣/١٠/٢٥

قنبلة صنع الله إبراهيم

... تأثيرات واسعة وأفعال محدودة

القاهرة - خاص بالهدف

تلك كانت «قنبلة» الروائي الأديب صنع الله إبراهيم، حسب تسمية بعض الصحف المصرية، التي فجرها ليس فقط في وجه المؤسسة الثقافية الرسمية أو حتى في وجه نظام الحكم. لكن أيضا في الأوساط الثقافية المصرية، التي بدا في الأونة الأخيرة وكأنها أصيبت بحالة من الشلل، أو اقتربت كثيرا من ذلك. وبما بات معه من المتاح للوزير الفنان فاروق حسنى أن يتباهى بأنه أدخل المثقفين المصريين إلى حظيرته!!. فكان أن جاءت «قنبلة صنع الله» لتكشف عن واقع آخر مغاير تماما لما هو باد على السطح. وإن كان قد وقف حتى الآن عند حدود ردود الفعل الاحتفالية والمؤيدة بالكلام والبيانات.

ذلك أن «قنبلة» صنع الله أحدثت حالة من الصحوة في الأوساط الثقافية المصرية، تبدت أولى وأهم مظاهرها في ذلك التأييد الواسع لموقفه من معظم النخبة الثقافية والسياسية المصرية التي ذهبت إلى حد اعتبار أن صنع الله عكس ما في داخلها وعبر عما تريد أن تقول، مثلما جاء في البيان الأول الذي أصدره المثقفون المصريون وحمل توقيعات كثيرين من رموز العمل السياسي المصري مثل أحمد نبيل الهلالي وكمال خليل وأمين أسكندر وآخرين ممن لا يمكن إدراجهم في خانة المثقفين بمعنى الأدباء أو الشعراء مثلا. ثم كان أن بادر الدكتور سيد البحراوي بالإعلان عن تأسيس جماعة أصدقاء صنع الله إبراهيم التي حظيت بدورها بتأييد أقل ما يقال عنه أنه كاسح. بيد أن الأمور سرعان ما بدا وكأنها في طريقها من جديد إلى الركود، وأن وهج قنبلة صنع الله بدأ يخبو. ثم انقضى شهر نوفمبر الماضي دون أن ينعقد المؤتمر الذي كان المثقفون قد أعلنوا عن انعقاده خلال ذلك الشهر ودون حتى أن تجرى أية تحضيرات له. وجماعة أصدقاء صنع الله إبراهيم التي تلقت عبر شبكة الإنترنت مئات التوقيعات حدث أن عقدت اجتماعا واحدا في مقر اتحاد الكتاب اتفق خلاله على بعض الإجراءات وتأجل الاجتماع إلى ما بعد عيد الفطر.

باختصار يخشى الكثيرون من أن يتحول الأمر كله إلى مجرد احتفالية بالرجل وينتهي كل شئ بعد ذلك. ويستندون في خشيتهم إلى حالة الضعف العام التي تعتري الحركة السياسية (والثقافية أيضا) المنظمة والقادرة على توجيه طاقات الغضب والرفض الكامنة في النفوس والتي تتزايد بصورة شبه مستمرة لكن دون تنظيم أو توجيه. وهو ما يهدد الهبة الأخيرة التي فجرها موقف الأديب الروائي صنع الله إبراهيم.

ثم يلاحظ هؤلاء أنه رغم أن شظايا قنبلة صنع الله لم تقف عند حدود الأدب والثقافة، بل امتدت لتشمل مختلف مناحي الحياة في مصر من تعليم وعلاج وصناعة وزراعة وتفشى الفساد والنهب فضلا عن غياب الديموقراطية، ورغم أن هذه الشظايا قد لمست بالفعل هموم ومشاكل وأزمات المواطن المصري العادي، إلا أن ردود الفعل بقيت محصورة ومحاصرة في أوساط النخب الثقافية والسياسية، وهو الداء الذي لم تزل تعانى منه معظم التكوينات السياسية والثقافية الموجودة بالفعل أو تلك التي تفرزها أحداث بعينها، والذي يظهر في شكل أعمال موسمية ونشاطات مرتبطة بحدث ثم سرعان ما تتراجع وتختفي أو تكاد مع انتهاء الموسم أو بانتظار حدث جديد.



ومع ذلك فلم يزل الأمل في فعل ما قائما، ليس فقط بحكم ازدياد حجم الغضب في الصدور، لكن أيضا لأن كثيرين بدءوا يتنبهون لظاهرة العمل الموسمي والنخبوي ويحذرون منها ويبحثون لها عن حل. لكن أيضا لأن ثمة جهودا حثيثة يبذلها عدد من الأدباء والمهتمين بقضايا العمل العام من أجل تحقيق الاستثمار الأفضل لقنبلة صنع الله. وهو ما سوف تكشف الأيام القادمة، وفى أعقاب عطلة عيد الفطر مباشرة، عن نتائجه وجدواه.

أوراق لفلسطين:

الأديبة هدى حنا
تلملم شظايا الذاكرة.. وتنزف الحنين!

بقلب مفعم بالحيوية والحب والأمل، قرأت الأديبة الفلسطينية هدى حنا في أمسية أدبية في المركز الثقافي العربي بدمشق بعضا من نفحات روحها المسكونة بحب فلسطين. فكانت وهي ابنة الثمانين، بإصرارها العنيد وإيمانها العميق بالنصر، وتحرير فلسطين والعودة، لكأنها تغسل ما خلفته السنون من أوجاع في ثنايا الروح وتعيد الأمل، وتضمد الجراح، وتفتح نافذة على الأفق.

تقول الأديبة حنا: مرة أخرى لا تزال الجراح الدامية تنزف، وأمسياتنا تئن بالحزن.. وإني لآمل أن تتحول هذه الأمسيات، أمسيات فرح يوم ندحر الأعداء المغتصبين، وتعود فلسطين حرة عربية.

عاهدت نفسي أن أكرس حياتي كلها للكفاح بسلاحي: قلمي ولساني، وبقطرات من دماء جراحي النازفة، كتبت شيئا من آلام شعبي وعذاباته في كتاب أسميته «صوت الملاجئ» ليبقى في ذاكرة الأجيال اللاحقة مثالا لما عاناه شعبنا على أيدي الصهاينة المجرمين .

قلبي.. يا أختي الذي كان مفعما بالحب ينثره خالصا ساميا أينما كان، قد بدلته الأيام، وغرست مكانه الحقد الرهيب يوم اقتحم الصهاينة علينا ديارنا بمساعدة الغرباء وبسلاحهم، ليحققوا ما أرادوا بالقتل والمجازر المرعبة. لقد استبد الحقد بهذا القلب حتى تفجر بركانا ثائرا لم يهدأ بعد، حين انحاز العالم علانية للباطل، وحاد عن الحق، وحين أقرت هيئة الأمم للصهاينة الدخلاء، إقامة دولة شرعية على أرض فلسطين المغتصبة، كأنها أقرت في تلك اللحظة قتل شعب فلسطين وحرقه وتشريده..

كم تمنيت لو أن ذاك الوشاح الأزرق البعيد، الذي يلف عالمنا، يقترب مني قليلا، فتطاله يدي لأمسح عن وجهه ذاك الغموض، لعلي أرى وراءه عالما آخر غير عالمنا هذا، عالما أكثر عدلا وصدقا وحبا للحق.

منذ لك الحين لم يعد يعنيني طلوع صبح، أو مجئ مساء.. وبات النهار والشمس والليل والنوم والقمر.. كلها عندي مجرد أسماء، ما دامت بلادي سليبة، يتربع على ترابها الأعداء.


هدى حنا

خائفة أنا.. أقبع في داري، لا أقدر إلا القول والكتابة والبكاء، يدي متعبة لم تعد تقوى على حمل البندقية، خائفة أنا، وإن كان صدري لم يفارقه الأمل، خائفة أن تعاجلني المنية.. وأرحل وفلسطيننا بعد سبية...

عل غير وعي مني، رفعت يدي إلى قلبي، أتلمسه برفق، ألملم من حوله جراحه وأنصت إلى خفيض وجيبه، فصرخت من أعماق الفزع: تريث قليلا أيها الزمن.. مالك مسرعا، فبلادي لا تزال تتلظى بنار الأعداء الغزاة، وترابها لا يزال مغموسا بدماء الشهداء..

تمهل.. لا تسرع الخطا، فتطويني بين حنايا دفاترك القديمة، فأن لم أتمم رسالتي بعد، ومشواري لا يزال طويلا، فأنا لا أريد الرحيل حتى يرف علم العروبة.. علم فلسطين فوق كل حبة تراب فيها.

أريد أن أرى رامة الأحباب قريتي، وأمرّ ببيتنا القديم، أتلمس جدرانه بشغف، أتوقف عنده، أتأمله، أتنشق عبير أزهاره الفواحة، أرفع ناظري إلى أشجاره الخضراء.. وأتذكر بضع أبيات من قصيدة ابن الرامة الشاعر نيقولا حنا رحمه الله، حين قال الشاعر:

دار برامة مشغوف بها القلب
ودعت فيها الصفا مذ فرق الهجر
تلوح والبعض مرئي لناظره
والبعض تحجبه أشجارها الخضر
وكأنها ما بين مرئي ومحتجب
وجه المليحة غطى بعضه الشعر

ثم التفت حولي لأرى أهلي وناسي، أبكي دموع الفراق، دموع الشوق، دموع الفرح، العظيم. وبعد أن أجيل الطرف بين مروج الزيتون الخضراء، أتجول قليلا، حتى أصل إلى زيتون أبي وأمي، وهناك عند زيتونة وارفة الظلال أتوقف أنظر إليها بحنين، أحفر على جذعها اسمي ثم استلقي على ترابها، أتأملها، أتنهد، ثم أغمض عيني، لأرتاح حيث أردت أن يكون مثواي الأخير.

وأنت أيها القدر كفاك عبثا بنا، وكفانا نلقي على كتفيك تخاذلنا، تخاذلا نبرره بضعفنا أمام بطش عدونا، واذا كنا ضعفاء حقا، فلماذا تمر السنون تلو السنين، دون أن نحاول تفادي هذا الضعف، خمسة وخمسون عاما مرت على اغتصاب القلب المقدس من هذا الوطن الكبير، والعدو يزداد قوة وشراسة، ولم يكتف بما من أرضنا كسب، فالتهم الجولان من وطننا سورية، وها هو يسارع إلى العراق الشقيق لينضم إلى رأس الأفعى التي باتت تنفث سمومها القاتلة هنا وهناك وأينما يحلو لها، ونحن لا نحرك ساكنا، ننظر من شرفاتنا نتفرج، ووسائل القوة لا شك بين أيدينا.

فلماذا إذا تجتمع القمة، التي تضع بين كفيها مصائرنا؟ إني لأتساءل إذا كان بينكم من يعرف لماذا، فليخبرني، لأني في الواقع لا أعرف، وكل ما أعرفه أنهم لم يخرجوا مرة من اجتماعا ت القمة متحدين، ليشكلوا القوة التي تقف سداً منيعاً في وجه كل من يحاول انتهاك حرمة ديارنا.

ماذا حلّ بأمتنا العربية؟ ماذا حلّ بالشيم العربية؟ لقد بحّ صوتي وانا أنادي يا قومي، يا أهلي وناسي، أهلكم في فلسطين على أيدي الصهاينة يقتلون، ابناؤكم في وطنكم يذبحون، يعذبون، يشردون، ولكن.. ولكن.. في صدري غصة يا إخوتي.. وفي فمي ماء...

فما لسيوف العرب في أغمادها قد صدأت!! وعهدي بها مشرعة كانت لا تغمد. ما لي أراها اليوم قد استبدلت بأغصان زيتون تنحني، تستجدي من الصهاينة السلام، وتعد التطبيع والوئام، وتبارك لهم بما اغتصبوا من فلسطين

دولة على مدى السنين.

متى كان من شيم العرب الاستجداء، منذ متى كان من عاداتهم الانحناء؟ لست أدري، أي سلام هو هذا الذي يطمس معالم فلسطين؟ أي سلام هذا الذي يبارك لعدونا بما من أرضنا اغتصب؟ لست أدري أي سلام!.

ألا فليعذرني السيد المسيح رسول المحبة والسلام، إذا كنت أردد قول الشاعر الرامي رحمه الله حين قال:

لا حل يرجى بالسلام وإنما
تؤتى الحلول بشفرة الصمصام

قل لي بربك يا أخي، لقد ضقت ذرعا، أعرب هي تلك الحكومات التي تقدم مثل هذه التنازلات، مثل تلك القرارات المهنية أم دخلاء؟

ألا فلتشل يدي إن كنت أمدها إلى عدونا الهمجي المغتصب أصافحه، لا كنت ولا كانت يدي إن فعلت.

والآن عذرا يا إخوتي وأخواتي، إذا كنت سأعود بكم في قصتي التي سأقدمها هذا المساء، إلى الماضي المر، الماضي المستمر، الماضي الذي لم ينته بعد، ودماء أهلنا وأبنائنا النقية التي تسفح كل يوم على أيدي الصهاينة المجرمين، لهي امتداد لذاك الماضي، الماضي الذي غيبه الآخرون في طيات النسيان، فتناسوا عذابات شعبنا وآلامه، تناسوا شهداءنا، تناسوا مشردينا، تناسوا اغتصاب القسم الأكبر من بلادنا، وراح كل ذلك بلا ثمن، حين عقد أولئك الصلح مع الصهاينة المغتصبين، واعترفوا بدولتهم المصطنعة، دولة على أرضنا ودنيانا، ورفعوا الراية البيضاء، واستسلموا للذل والمهانة.

ألا فلتتمزق كل الرايات البيض، وليختف زهر الفل والياسمين، وليفن اللون الأبيض من الوجود، ولتتفتح شقائق النعمان، مادامت بلادي سليبة يتربع على ترابها الأعداء.

ألا بئس عالم يطعن الحق في الصميم، ويرفع علم الباطل فخوراً.

فيا أخي في الجرح لا تسلني عن ألمي..
وهل يسأل عن الألم الجريحَ
حسبت كفاحي قد يشفي جراحي..
وما كنت أدري ما في الخفاء يجري
وإذا بسيف السلم يهوى على كفاحي
ويتركني بلا حراك.
فهل يا أخي لديك دواء يحيي الذبيح؟

الأغنية المقاومة.. أغنية فلسطين

فيروز الناجي

ليست أغنية ككل الأغاني، فهي حين تقترف ذنب حضور الكثير من الأشياء، والمعاني، وتستطيع تسجيل لحظات مر عليها الكثير من الوقت، وحين تعيد في داخل كل من يسمعها حضور الوطن كاسم وانتماء وتاريخ، وحين تقوله الآن وأمس وغدا لتحول برد الغربة عنه إلى دفء يلغي الأمكنة ويجعلك تسافر هناك نحوه حاملا معك سنين رحيلك ومنفاك وإصرارك على العودة إليه، وحين تستطيع تلك الأغنية أن ترسم وسط كل هذا الحزن والتشرد بسمة على ثغره فرحا بأبنائه الذين يرددونها بانفعالات تضج بالانتماء والحنين إلى تلك الأرض، حتى أنه يخال إليك بأنهم قد جاؤوا منذ قليل فقط من هناك، وبأنهم مولودون فيها ومن رحمها الطاهر: ليقولوا لمن راهنوا على نظرية «الكبار يموتون والصغار ينسون»، ليقولوا لهم بأن الكبار قبل أن يموتوا لم ينسوا أن يزرعوا فلسطين في قلوب كل أبنائهم، حين كل هذا هي ليست أغنية كباقي الأغنيات، بل هي طائر امتلكت أجنحة وسافرت عبر كل الحدود دون جواز سفر لتقول لكل العالم أن الوطن ليس حقيبة، بل هو كائن حقيقي يسكن الدم والشرايين.

هذه ليست مقدمة بل هي باختصار تعريف بهوية الأغنية الفلسطينية.

مهرجان الأغنية الفلسطينية الذي أقيم في جامعة دمشق، بدعوة من اتحاد طلبة فلسطين في ١٩/١٠/٢٠٠٣ ولمدة ثلاثة أيام متوالية، والذي شاركت فيه ثلاث فرق فلسطينية هي: فرقة العاشقين، وفرقة بيسان، وفرقة العودة. قدم شواهد حية على ما قلناه وأكثر، حيث استطاع أولئك المسافرون بأصواتهم وموسيقاهم وكلماتهم التي كانت تنطق حروفها بحكايات الوطن الجميلة الدافئة المليئة بالعنفوان والتحدي، وبقصص الشهداء والمعتقلين، ولم تنس أغنيتنا أن تكتب رسائل عشق للحبيبة، وأن تحفر فينا أشجار البرتقال والزيتون والزعتر البري والورد ناطقة بلسان الأرض:

حدثهم يا ورق الزعتر
حدثهم عن شاب أسمر
يقفز كالظل بين الأشجار
يترصد قافلة
تحمل أطنان الطلقات
وبعض الأجساد

وبقيت الجفرا وظريف الطول حاضرة حضور الوطن والمقاومة فيها:

ويا ظريف الطول وعم يضرب حجر
وبيدوا سكين ومقلاع وحـجر
واضرب يا ظريف ولا تهاب الخطر
صوتك يا الشهيد دوم بقلوبنـا

وحكايا الحادي كان لصوتها صداه الجميل:

قال الحادي وخير القول يحكي أخبار الفدائية
قصة عشق الأرض فصول شهدا نسور وجهادية
يا فلسطين النصر أكيد بكرة جاي بالتأكيد
كل الشعب إيد بايد إسلام ومسيحية

والجفرا للوطن تزف الشهداء:

جفرا ويا هالربع
ربع الجهادية
يا ربعي زفوني
أرضى أنا عيوني

لقد استطاعت الأغنية أن تقول ميزات شعب أسطوري الإرادة والانتماء، فكان الرفض للذل والاحتلال من خلال أغنية ربما لا نبالغ لو قلنا بأن الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني والعربي يرددها:

يما .. مويل الهوا يما مويليا
ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا

ولم يتغير هذا التحدي في الجديد من الأغاني بل ازداد إصراراً حين نسمع:

موت أرحم
ولا يحكمنا الظلم

في تاريخ قريب لولادة هؤلاء الزهور الذين كانوا يرددون الأغاني مع الفرق المشاركة كانت أسطورة بيروت، فغنى هؤلاء الشباب وبصوت واحد ترافقهم الفرقة وموسيقاها، وكأنهم خاضوا المعركة مع أبطالها:

اشهد يا عالم علينا وع بيروت
اشهد للحرب الشعبية
ولما طلعنا ودعناك يا بيروت
وسلاحنا شارة حرية..
لا راية بيضا رفعنا يا بيروت
و لا طلعنا بهامة محنية

وتبقى الثورة هي النار المتقدة في قلوب كل شباب وشابات فلسطين لا يتوانون عن تقديم أرواحهم من أجلها، وتنتقل طوعاً كجزء من ثقافة أطفالها:



هبت النار والبارود غنى
أطلب شباب يا وطن واتمنى

لقد غنت الفرق الثلاث وبأصوات كانت تتمنى أن تصل لكل أصقاع الأرض ليدرك العالم حقيقة ما يحدث، وليتعرفوا على انتفاضة شعب قرر ومنذ زمن بعيد أنه شعب واحد لن يتجزأ:

عام وعامين وزيد
الحبل عالجرار
والشعب إيد بإيد
خ يكمل المشوار
يسقط شهيد اليوم
طلع وراه ألفين

ولأن الأغنية الفلسطينية مترابطة ولها الهدف ذاته عند كل من يغني لفلسطين صدحت أغنية:

جفرا ويا هالربع
شعبى واحد لا شعبين
المسيحى مع المسلم
دم واحد فى العرقين
لو تنزل أرض بلادي
تلاقى الشعب عالصفين
شايل دمه عا كفه
وما يهاب المنية

إذا هي الأغنية الفلسطينية التي كادت أن ترتقي في تأثيرها إلى مستوى البندقية، فقد كانت وما زالت قادرة على خلق مشاعر الغضب والحماسة وقادرة على إضافة الحطب إلى الثورة لتبقى متقدة في قلوب كل أبناء الوطن.



واستطاعت أن ترسم صورة تنطق بصوت الشعب الفلسطيني وإرادته وموقفه من الاحتلال والخيانة:

يا شعبى ثور بهالوطن وسلاحك الحجار
لا تنتظر عون المدد من حاكم سمسار
باع الكرامة والشرف يا حيف نسيها

ورسمت بالكلمات الإرهاب الصهيوني الأمريكي، ضد شعبنا:

انظر التدمير في كل مكان
انظر الأحياء من تحت الخراب
والدم الجاري على أرض جنين
صبغت حمرته زهر الروابي

كل طفل في فلسطين جريح وغدا عيشه رهنا بالعذاب:

سكنت أناته رحم السواقي
وعلت صرخاته كل الهضاب

باختصار... كانت الأغنية الفلسطينية ومازالت القادرة على أن ترسم الخط السياسي الذي يتبعه شعبنا ويصر عليه، وهو الانتفاضة والمقاومة ضد الاحتلال، وقد كانت بمثابة المؤرخ الحقيقي لنضالات شعبنا وبطولاته، وذلك من خلال مجموعات من شبابه وشاباته يمتلكون صوتاً وموسيقى وكلمات تسعى لأن تعبر عما يريدون، ولأن الجميع يبحث عن وسيلة يناضل من خلالها، اختار هؤلاء الشباب أن يكرسوا موهبتهم ليقولوا الوطن، بكلمات وموسيقى دائما تحاول أن ترتقي لحجم قضيتنا، وعظمة شعبنا، فكل الكلمات لن تستطيع أن تعطي هذا الشعب حقه، سواء في جنين وغزة ونابلس ورام الله والبيرة وكل مخيمات شعبنا، أو أولئك القابعين في سجون الاحتلال، وبالتأكيد الأصعب حين تريد أن تغني للشهداء الذين لقدسيتهم رهبة تجعلك تفكر ألف مرة قبل أن تتحدث عنهم خوفاً من ألا تعطيهم حقهم من الإكبار.

مع كل هذا حاولت الفرق الفلسطينية الثلاث، وبما تمتلكه من وسائل بسيطة أن تقوم بدورها، لتبقى الأغنية الفلسطينية مستمرة...

من بلاطة والجلزون
شعبي مش ممكن يهون
جايين جايين يا شارون
جايينلك لوسط البيت
من الطيرة والطنطورة
ومن غزة والمنصورة
راح بنخلي الدم بحورا
والجماجم فتافيت

بقي كلمة لابد من قولها...

إنهم يحاولون ومؤمنون بما يقومون به، وكان واضحاً من خلال المهرجان تأثير الأغنية وصداها...

فهل يغضب أحد لو قلنا بأنهم يحتاجون للرعاية والاهتمام بهم، ليكونوا قادرين على الاستمرار والتطور، لتبقى الأغنية الفلسطينية محافظة على هويتها التي رسمتها منذ البداية، ولتستطيع مواجهة ثقافة العولمة والسلام المدعى، كونها جزء مهم من التعبير عن ثقافتنا الوطنية المقاومة؟؟

عرض فايز قزق - AB «أ ب سلبي»

«ارتجال مسرحي» يقارب هموم القاع الشعبي

تظهر علامات التفكك والتشتت واضحة على مجموعة شخصيات تدخل بهو مشفى «فضاء المكان المسرحي» حاملة جسد شخص مريض في حالة خطيرة، وهؤلاء يختلفون حتى على الطريق الذي عليهم أن يسلكوه لنقل المريض إلى غرفة العمليات، فكل واحد منهم راح يشده باتجاه، ويصرخ بأعلى صوته ليقنع الآخرين برأيه في حالة من الفوضى والتدافع وعدم الانسجام، التي تحيل إلى المعنى الرمزي لهذه الحالة، خاصة حينما نكتشف أن المريض هو «الأب» وهؤلاء الأشخاص هم أولاده وبناته وزوجاتهم وأزواجهن.

دمشق - علي الكردي



اختار المخرج الفنان فايز قزق لعرضه -AB «أ ب سلبي» على خشبة المسرح الدائري للمعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق أسلوب «الارتجال المسرحي» لمقاربة موضوعه، بمشاركة أكثر من عشرين طالباً، اشتغلوا في إطار تكوينهم المسرحي على بلورة خطوط العرض ومقاربة عوالم الشخصيات، باستخدام اللهجة العامية «المحكية» التي تعود مرجعياتها إلى القاع الشعبي للمجتمع السوري بكل تنويعاته، وذلك كوسيلة للإضحاك والمبالغة في الأداء المشهدي والحركي، الذي يعتبر سمة أساسية من سمات الارتجال المسرحي.

إمعانا بالمفارقة، تتناقض أفعال الشخصيات مع فضاء المكان «مشفى» الذي يتحول إلى فضاء مجاري تبرز من خلاله التناقضات بين الشخصيات وصراعاتها الدرامية. فالابن الأكبر إسماعيل «جمال سلوم» أستاذ جامعي غارق في مشاكله ومشاغل التدريس، وتنطوي هيئته الخارجية «ملابسه وأسلوب حديثه» على مفارقة مبالغ بها، تتناقض مع موقعه الاجتماعي المرموق، ولا تعكس كونه رجل علم ومعرفة. في حين أن الابن الآخر ابراهيم «أسامة جلال» يظهر كشخصية انتهازية، تلمح منذ البداية إلى وصية الأب له بأن لا يفرط بممتلكات العائلة في إشارة إلى رغبته بالاستحواذ على الميراث في حال الرحيل المتوقع للأب. مما يثير ردود أفعال سلبية لدى الآخرين، حتى أن زوجته سلاف «أناهيد فياض» تستنكر طمعه. لكن موقفها يتغير حينما تظهر أطماع الآخرين، وتبرر لزوجها موقفه، كونه الوحيد الذي يتحمل أعباء العمل مع والده، وما ينجم عنه من ضغوطات نفسية واجتماعية، لا سيما وأن ابنهما مريض ويحتاج إلى معالجة.

من جهة أخرى تظهر السلوكيات النفسية غير السوية للابن الآخر «مسلم» «سعد النفري» التي تنعكس سلبا على علاقته الزوجية وتهددها بالانهيار.

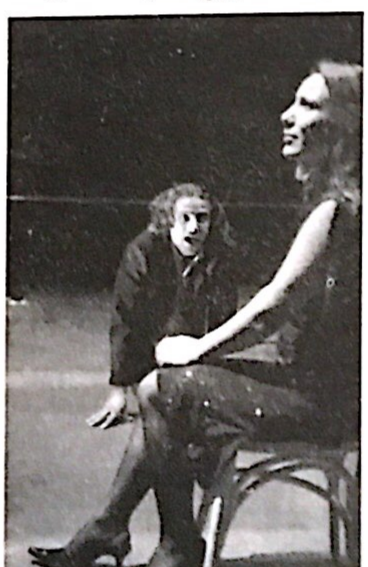
هذا التمزق والتفكك ينسحب أيضا على أوضاع البنات، الابنة فلك «رغد مخلوف» تعيش هي الأخرى علاقة غير مستقرة مع زوجها «جابر الجوخدار» الذي لا يكترث لها لأنه غارق في حساباته المالية وعلاقاته النسائية المشبوهة، بينما الابنة الأخرى ليلى «ميرنا زينون» ورغم أنها خريجة جامعية، ومتفانية في سبيل الحفاظ على أسرتها، إلا أن زوجها الأصولي المتعصب، والعاطل عن العمل، يفرض عليها



ترك وظيفتها، مما يضطرها إلى بيع أثاث البيت كي تأكل هي وأطفالها، ويصل بها الأمر إلى الطلاق، لأنه يرفض عودتها إلى العمل.

ترى الابنة الأخرى لبنى «ديانا فاعور» الخلاص بالهجرة إلى فرنسا، التي طالما حلمت بالسفر إليها، لذلك تزوجت من شخص ليس له ميزة سوى أنه يشبه الفرنسيين بشكله وسلوكه ولباسه، لكنها تصعق حينما تكتشف ميله النفسي غير السوي للنساء المتقدمات في السن. وهناك أيضاً شخصية الابنة وجيهة «نسرين فندي» التي شردت مع رجل تحبه، لكنه تخلى عنها مما اضطرها إلى العودة منكسرة لبيت العائلة لتعيش مغلولة في كنفها. أما الابن الأصغر فهو فاشل دراسيا، لكنه رغم فشله وضياعه كان يراقب سلوك أخوته وأطماعهم ويكتشف نوازعهم وكان في سلوكه وخطابه أكثر توازنا وانسجاما مع نفسه من الجميع.

شكل المخرج قزق من هذه الخلطة المتشابكة بشخصياتها وأحداثها بنية مشتركة، ربط بين خيوطها من خلال المنولوجات التي أفسحت مساحة لكل شخصية للتعبير عن ذاتها، وكون الارتجال المسرحي يعتمد الكوميديا والمبالغة في الأداء الحركي واللفظي، فقد كان الانتقال بين الأبعاد الكوميدية والأبعاد المشحونة للشخصيات، مسألة في غاية الصعوبة، عالجها المخرج بإيجاد حلول إخراجية فنية لبعض المشاهد، باستخدام «الأغراض» لاستبدال الفضاء المكاني بين مشهد وآخر، كاستخدام الكراسي كغرفة انتظار أحياناً، وغرفة عمليات أحياناً أخرى بالإضافة لبعض الأنساق العلاماتية، كالستائر البيضاء التي استخدمها لفصل الفضاء الداخلي للمشفى عن فضائه الخارجي، والستائر السوداء التي حولها وظيفيا كملاءة سوداء تتدثر بها الممثلات في أكثر من مشهد ليبث علامات ذات تأويلات مختلفة، تارة كفاصل بين عالم الذكورة وعالم الأنوثة، وتارة للتعبير عن معاناة المرأة وقهرها «مشهد المرأة الحامل»، كذلك حاول التنويع على النسق العلاماتي الدال للملابس «مشهد دخول الأب، الديكتاتور «ببذة عسكرية تتدلى منها النياشين»، وكان للمثلين في مشاهد الجموع دوراً أساسياً في تشكيل نسق علاماتي هام ساهم أيضاً في صياغة الفضاء المسرحي من خلال أفعالهم وحركاتهم المرتبطة درامياً بتلوينات الكلام والجسد للتعبير عن الخوف والتوتر والقلق أو التهكم.. أي كان لتلوين الصوت وجرسه مع استخدام تنويعات اللهجات العامية دورا أساسياً في الخروج من مأزق النوسان بين الأبعاد الكوميدية والأبعاد المشحونة للشخصيات، كي تتوضح مقولة العرض التي تفضي في بعدها الرمزي إلى أن ظهور التفكك والتشتت العائلي أمام أول بوادر ضعف سلطة الأب «المريض»، ستؤدي في حال رحيله المنتظر، إلى صراعات دامية على السلطة والثروة، بما تحمله هذه الدلالة من إمكانية لأكثر من إسقاط وتأويل، يتجاوز حدود العائلة إلى المجتمع برمته الذي يعاني حالة شبيهة من التمزق والانفلات.



مشاركات سورية في مهرجانات مسرحية دولية

شاركت سورية بثلاثة عروض مسرحية في مهرجانين مسرحيين دوليين في كل من إسبانيا وإيران، حيث تتوجه أسرة مسرحية «كونشيرتو» للمشاركة في مهرجان المسرح العربي في إسبانيا الذي بدأت فعالياته في ١٨ تشرين الثاني/ أكتوبر الماضي إلى جانب عروض من دول عربية أخرى. العرض من إخراج: ماهر صليبي الذي كتب النص مع موفق مسعود، وتمثيل: جهاد عبدو، محمد حداقي، رنا جمول، سوسن علي.

ويشارك عرض «عالم صغير» في مهرجان طهران المسرحي (مهرجان زيمين) في السادس من الشهر الحالي، والعرض هو مونودراما تمثيل: حسام الشاه، من تأليف وإخراج: نوار بلبل.

كذلك تشارك مسرحية «الديك» في عروض نفس المهرجان وهي عمل مميز لاقى نجاحا كبيرا أثناء عرضه في دمشق، من تأليف وإخراج الفنان طلال نصر الدين، تمثيل: زيناتي قدسية وقاسم ملحو.

«حنين العناصر» لعائشة أرناؤوط

التطهر بخلايا الكتابة النائية

سعيد البرغوثي

سبية اللامرئي
رهينة الظلِ
وديعة العدم
ألأنني أقرأ صمتكِ أكتبُ الآن؟

بهذا المقطع الافتتاحي تؤكد الشاعرة السورية المقيمة في باريس قناعتها بأن الشعر مبرر وجودها وجوهره، ولذلك تعمل على قصائدها، وتنشرها، بعيداً عن الهالات الإعلامية والأصداء التي يطيب لبعض الشعراء والأدباء إحاطة أنفسهم بها.. ويأتي ديوانها «حنين العناصر» الصادر مؤخراً عن داركنعان بدمشق، وهو الخامس بين دواوينها التي بدأت بنشرها منذ العام ١٩٨١، ليثبت أن الغزارة والشهرة الطاغية ليسا الطريق الوحيد والصحيح للاستدلال على الأصوات الشعرية الحقيقية.. فكثير من الأصوات الهامة، وعائشة أرناؤوط واحدة منها، تعمل بجدية وبصمت، يكتبون كثيراً وينشرون قليلاً، مما يعطي أشعارهم سمة الرصانة والجدية مدفوعين برغبة حقيقية بدفع حركة الحداثة الشعرية العربية نحو آفاق جديدة، لا على صعيد الشكل فقط، بل على صعيد المضمون أيضاً..

إن قارئ الديوان يدرك منذ الصفحات الأولى أن الشاعرة تجيد الكتابة الصافية في زمن تبرّجت فيه الحروب أكثر مما ينبغي، فيما روح الشاعرة الحساسة تصرخ أمام شاوية تسن أسنانها للإجهاز على الجميل داخل ذواتنا الإنسانية، بينما النور يتحول ويصير قطيعة تنز بالظلمات.. وهنا تغدو الكتابة مكاناً للتطهر في خلايا الكتابة النائية..

تقول الشاعرة في أحد مقاطع قصيدة هلام المتاهة:

الحنينَ إلى الدهشة
يموت في الأحشاء
العبير الذهبي ينكمش في البؤبؤ
أحاول التمسك بظلّي
كي لا أنهار

هكذا تأتينا قصائد الديوان دون فصل بين ما هو ذاتي وبين ما هو عام .. إنها تكتب عن مشاشة الذبيحة ونزيف الجداول، عن ترمد الأشجار وتصدع القلب، مروراً بهوس العظماء إلى خضوع الرعايا.. وهي إذ تعبر عن هذه المهاوي بالشعر، وفي معاناتها التي أنتجت هذا الشعر المكتوب بماء القلب، فإنها تحاول الوصول إلى ذاتها بسلام.. وكأن شاعرتنا على يقين أن الكتابة في معظم أوقاتها تكون طوق نجاة وبز أمان أمام تقلب أحوال الزمان ووحشة المكان اللذين يجعلان أصحاب الكلمة الصادقة يوغلون في عصرنا معصوبي القلب لا يدرون على وجه اليقين إلى أين تقودهم الأهوال..

ولنقرأ هذا المقطع ولننظر إلى أين يقودنا وما هي المفاتيح التي يمنحنا لقراءته جيداً.. تقول عائشة أرناؤوط:

تتحسرُ الأحلامَ في هَلام المتاهة
بحثتَ عن آخر جثّتي ولم أجدها
أفاوضَ للحلول في البديل
ولا أعرف من الغابات إلا الحريق
من الينابيع إلا الجفاف
من العصور إلا رماد المستحاثات

الا ينتمي هذا الشعر بامتياز إلى ما أصطلح نقدياً على تسميته بـ «شعر التجربة»... فديوان «حنين العناصر» إذا ما قرأ بعناية سيعطينا مثالاً جيداً على الشعر الذي يرتبط بالذات والعالم، ففيه



يختلط الماضي والحاضر، الآني والأبدي، فيبدو الزمان برهة ثابتة يجري التجوال خلالها للخروج من رتابة الزمان المكثف وعديم الحركة. يتم كل ذلك في رحاب الوجدان الذي يعرف كيف يتقرى الجمال، وكيف يرى في القبح كل أسباب وموجبات رفضنا له.. ومن دون هذا الوجدان اليقظ، والعارف أن الشعر هو مرآة الروح الحساسة وماء القلب، يخسر الشاعر الكثير من قدرته على الإقناع والإدهاش.. وهنا بالذات سرّ الإبداع الحقيقي الذي نراه ساطعاً في قصائد الشاعرة أرناؤوط..

في «حنين العناصر» نقرأ قصائد مشحونة بالانفعالات الصادقة والمتصاعدة حتى ذروة اكتمالها، وهذه الخاصية تضفي على القصائد حالة من المهابة والديمومة والقدرة على اختراق ذاكرة القارئ ووجدانه بسهولة ويسر رغم عنف التناول وغرابة الصور والرموز المكثفة والعميقة المبثوثة في ثنايا الديوان..

ضاقت عليك الأماكن الفسيحة
فلجأت إلى ميسم القلب
أربكتك الأزمانَ بتوزّعها
فالتأمت بتوافق الأمواج
ماذا ستفعلين لإخفاء تجاعيد الأفق؟

هذه لحظات تجلٍ لا تكاد تغيب عن مجمل الديوان، وبهذا تحقق الشاعرة شرطاً أساسياً من شروط شعر التجربة.. فمن خلال لحظات التجلي ينتقل الشاعر والقارئ على حد سواء إلى مجال التحول الكلي العاكس لرؤيا شاملة هي خلاصة تجربة الشاعر في الشعر وفي الحياة، في سياقٍ لا يعترف إلا بالتطور والتأثير الجديد الذي تخلفه القصيدة على مزاج وعقل المتلقي والكاتب..

تقول الشاعرة:

لا شيء يدهشني
سوى تلك الأقحوانة الفضة
في ابتسامة لا تكتمل

نلاحظ في هذا المقطع القدرة على دمج الباطن بالظاهر، المحسوس بالمجرد، الروحي بما هو مادي، والمعرفة بالحدس، وكل ذلك لكشف أسرار التاريخ والروح كشفاً عيانياً لا سبيل إلى البرهان عليه أو قبوله إلا بعناصر الوجدان لا بصرامة العقل..

الديوان بحسب الشكل الفني، من قصيدة النثر.. وإذا كان جل ما يكتب بهذا النوع الشعري لا ينتمي إلى الشعر الصافي نظراً لما فيه من استسهال وهذر ومجانية، إلا أن «حنين العناصر» بما فيه من عذوبة وصور مكثفة ومفردات وجمل يجري تشكيلها بدقة ورقة الشعر العالي تثبت عكس ذلك.. فمعضلة الشعر، وأزمته التي يكثر الحديث والخلاف حولها، لا ترتبط بالشكل الشعري، بل بمقدار موهبة هذا الشاعر أو ذاك، واجتهاده كي يستطيع الوصول بشعره إلى مراحل متقدمة من النضج..

وخلاصة القول أن قصيدة النثر، وإن كانت قدمت نماذج رديئة ممن وجدوا فيها مركوباً سهلاً للشهرة والإبداع، إلا أنها لا تكف عن عطاء الأدب الجيد بأقلام مثل عائشة أرناؤوط، التي يجب أن ينظر إلى إبداعها باحترام، كما نظرنا سابقاً إلى تجارب محمد الماغوط، أنسي الحاج وسواهما من رواد قصيدة النثر العرب..

سيل الهشاشة في المسلسلات الرمضانية

إذا لم يحقق العمل الفني، أو الأدبي المتعة والفائدة المرجوة منه، فعلى الله السلام.

يمكن للبعض أن يتساهل في مسألة «الفائدة»، لكن «المتعة» شرط لا يمكن التنازل عنه، وإلا فقد العمل الفني جاذبيته التي تشكل جسر التواصل مع المتلقي.

حتى القضايا النبيلة، إذا لم تقدم بقالب جذاب وممتع فلن تصل إلى الناس، بل ربما تلعب دوراً سلبياً، يشوش الأفكار ويسيء إلى الذائقة.

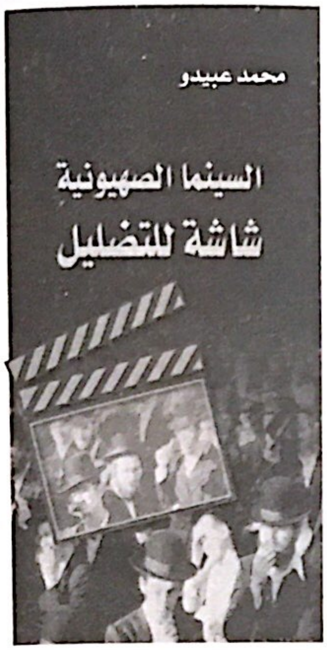
إذا استعرضنا بشكل سريع، الأعمال الدرامية التي عرضت في رمضان المبارك، سنجد للأسف أن معظمها لم يحترم عقل المشاهد وذائقته، وتكاد الأعمال التي حققت تلك معادلة المتعة والفائدة تعد على الأصابع، رغم الكم الكبير من المسلسلات التي عرضت على مدار الساعة.

إذ رغم نجومية الممثلين في أعمال مثل «العمة نور» و«تعال نحلم ببكرة» و«نجمة الجماهير» إلا أنها كانت مفككة درامياً ومشوشة فكرياً، يغلب عليها طابع البهرجة والديكورات الضخمة لكنها لم تقدم للمشاهد سوى القشور المستهلكة.

بينما نجح مثلاً مسلسل «الليل وآخره» في تقديم دراما إنسانية محبوكة بطريقة مقنعة تألق خلالها نجم كبير كيحيى الفخراني.

المسلسلات السورية لم تكن أفضل حالاً.. «بقعة ضوء» تراجع عن مستواه و«عالمكشوف» كان نسخة مكررة عنه، وغرقت المسلسلات التاريخية بالنمطية المعروفة، رغم خروج «الحجاج» عن هذا النسق، أما «ذكريات الزمن القادم» فقد جذب المشاهدين، إلا أنه لم يكن مقنعاً على مستوى بناء الشخصيات والسياق الدرامي الذي اعتراه الكثير من الضعف والتفكك!

علي الكردي



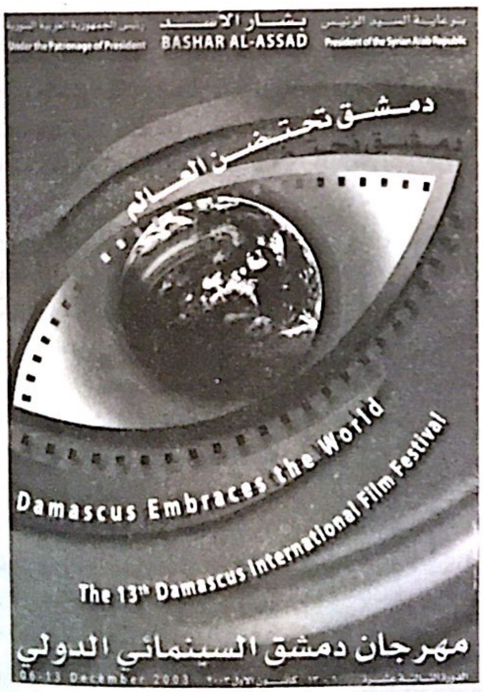
السينما الصهيونية شاشة للتضليل

في إطار سلسلة المكتبة السينمائية التي تصدر عن دار كنعان للدراسات والنشر بدمشق، صدر حديثاً كتاب «السينما الصهيونية / شاشة للتضليل» للناقد السينمائي محمد عبيدو، الذي يشير إلى اهتمام الحركة الصهيونية بالدور الحيوي للسينما منذ مؤتمرها الأول في بال عام ١٨٩٧، الذي انعقد بعد سنوات قليلة على ظهور هذا الاختراع، الذي انتبهت الحركة الصهيونية إلى أهمية دوره الإعلامي والدعائي الخطير، مما دفعها بعد المؤتمر بفترة وجيزة إلى التشديد على ضرورة استخدام السينما كوسيلة لنقل الفكر الصهيوني إلى اليهود أنفسهم وإلى الشعوب الأوروبية بشكل عام.

ولاحقاً، ومع احتدام الصراع العربي الصهيوني، وظفت الصهيونية السينما لتضليل الرأي العام العالمي بسلسلة من الأفلام التي حققها سينمائيون أوروبيون وأمريكيون طبقاً للتوجهات التي تتقاطع مع أهداف الصهيونية.

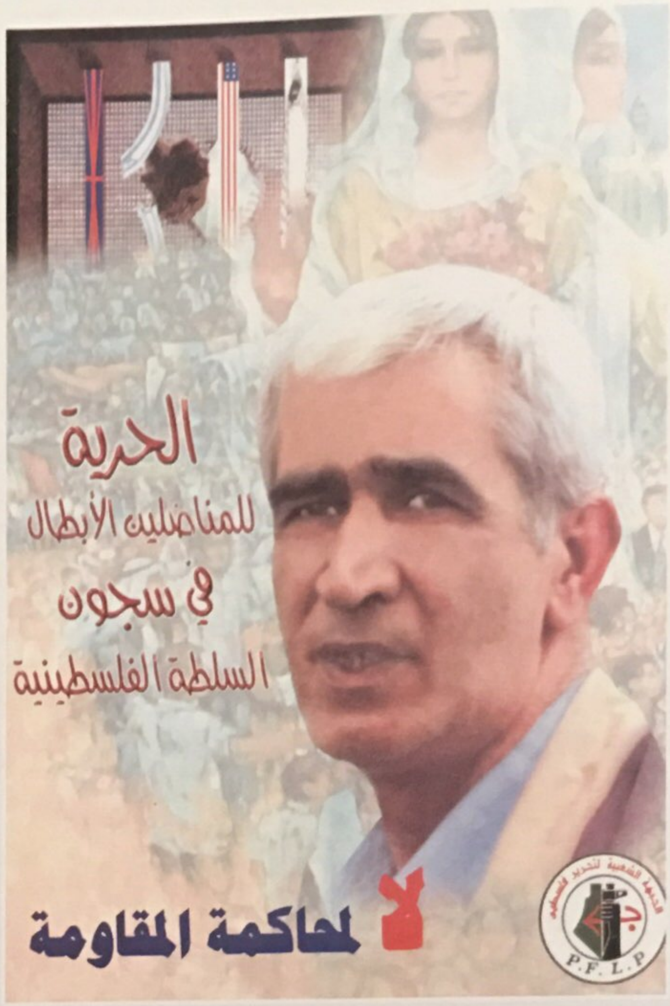
يسلط الكتاب الضوء بصورة موضوعية على هذه المسألة ليبين حجم الخداع والتضليل الذي مارسته السينما الصهيونية في تزييف الحقيقة وطمسها.

مشاركات واسعة في مهرجان دمشق السينمائي



بدأ العد العكسي مع اقتراب موعد انطلاق فعاليات مهرجان دمشق السينمائي، في السادس من كانون أول/ يناير. وحسب تصريح الناقد السينمائي محمد الأحمد، مدير عام مؤسسة السينما، ورئيس المهرجان، فقد ثبتت العديد من الدول مشاركتها في مسابقة الأفلام الطويلة، ووصل عدد هذه الأفلام إلى ٢٣ فيلماً هي: «صباح الاثنين» من جورجيا، «سعادة غير معروضة» من الصين، ومن اليابان، «الملاك يستلقي على يميني» طاجكستان، «مدام برويت» السنغال، «وداعاً لينين».

الحرية لسجناء الحرية

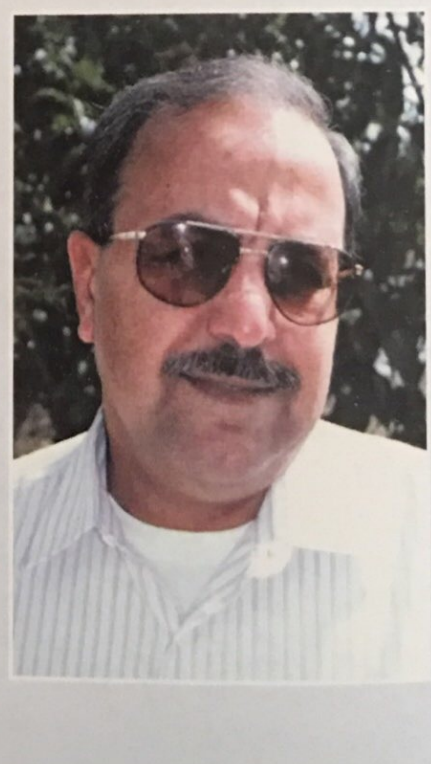


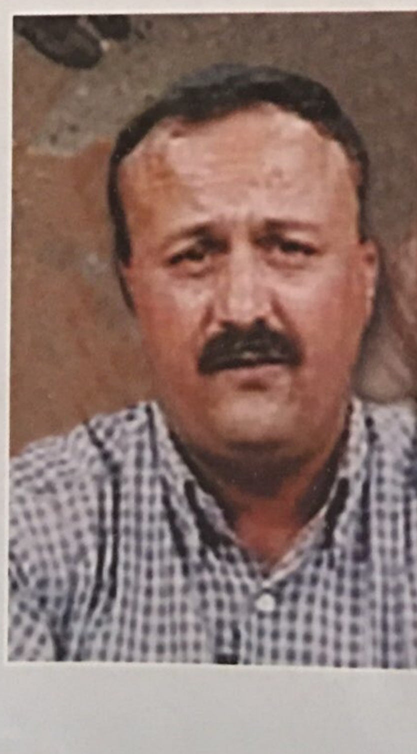

المناضل عاهد أبو غلمة


المناضل باسل الأسمر


المناضل حمدي القرعان


المناضل مجدي الريماوي





في يوم التضامن

أحمد . م. جابر



هل تذكرون يوم التضامن. يحيل سؤال البداهة إلى الألم الفاجع والتكرار المأساوي والتذكر المرير لأيام كان فيها للأيام معنى وللشعارات أفق وللأحلام من يسندها.

يبحث شعب فلسطين عبثا عن التضامن ومعناه، فلا يجده إلا في سكوت مشبوه وتآمر لا يخجل ومشاريع تسعى لتكرار المذبحة.

في يوم التضامن مع شعب فلسطين، يبحث الفلسطيني عن ذراع تسند جريحا أو يد تمسح دمعة أم فلا يجد إلا أسوارا تفتت الشمل وتمحو ما تبقى من ألق الحنون وصفاء الذاكرة.

قلنا سابقا في نفس الزاوية وذات الذكرى أن المطلوب أكثر من أي وقت مضى هو أن يتضامن الفلسطيني مع نفسه مع حقه وحريته وكرامته المسفوحة ووجوده المهدد، وهانحن نعيد التكرار، فلابد أولا أن نتضامن مع ذاتنا وللتضامن مع الذات شروطاً ومحددات قسرية لا يمكن القفز عنها بشعار ولا يمكن تعويضها بمهرجان خطابي.

أول الشروط إعادة الاعتبار للشعب ومكانته ودوره في اشتباك تاريخي ومفتوح مع عدو لا يرحم، هذا الاشتباك الذي يطالبنا باستنهاض كل طاقة ممكنة ومطاردة كل أفق متاح والسبيل إلى ذلك أولا وقبل كل شيء أن نعيد للشعب قضيته ونكف عن عزله وحصاره وتهميشه ومعاملته كقاصر.

الشرط الثاني هو الالتفات الجدي إلى نقد الذات ومعرفة أوجه الخطأ والتقصير والفشل والإقرار بها كخطوة أولى نحو إعادة إطلاق استراتيجية استنهاض ومقاومة جديدة قادرة على التصدي لمعضلات المرحلة وقادرة على تشكيل رد تاريخي وحاسم على مشروع العدو ومحاولات إعادة إنتاجه وتسويقه.

وفي هذا السياق نتطلع ببعض أمل إلى الحوار الوطني الفلسطيني في القاهرة آملين أن يكون خطوة حقيقية هذه المرة نحو إعادة ترتيب بيتنا ولملمة أشتاتنا وعودتنا إلى صراط الكفاح المستقيم من أجل فلسطين ومن أجل شعبنا وحقيقة وجودنا ومستقبلنا.

في هذا السياق أيضا ننظر بريبة وحذر واستعداد إلى المسرحية الجديدة التي انطلقت في جنيف، على يد مجموعة اختارت أن تبتعد عن آلام شعبها وأن تتناسى أن جوهر القضية هو الشعب اللاجئ وكمال السيادة والاستقلال، وأن ثورتنا في حقيقتها وبداياتها لم تكن إلا ثورة لاجئين، فظنوا وخاب ظنهم أنهم يستطيعون الكلام باسم المشردين والتنازل عن حقوقهم ببساطة تحت أضواء الكاميرات المبهرة في إعادة إنتاج بائسة من قبل الممثلين ذاتهم لمسرحية تافهة فشلت مرات ومرات.

ولكن هناك أمل وهناك إرادة بالأمل، فشعب فلسطين الذي يتألم الآن ويعض على جرحه لا يقبل الاستسلام والهزيمة ولعل هذه هي أساس معضلة العدو والمارقين على إرادة شعبهم على حد سواء، صحيح أن شعبنا يتعب كما هي طبيعة الناس والأشياء، وصحيح أننا صرنا نقول كفى لهذا العذاب وهذا القتل اليومي وهذه الإبادة المبرمجة والتدمير الوحشي كل هذا صحيح، وصحيح أننا نخسر وخسرنا الكثير في هذا الصراع المفتوح على أبواب التاريخ ولكن الصحيح أيضا، والذي لا يجب أن يغيب على الإطلاق هو أن شعبنا لا يرضى الراحة بأي ثمن وأن هذا الشعب الذي دفع من التضحيات الكثير حتى أدمي وأرهق، إلا أنه مصر على الوصول إلى أفق الحرية والاستقلال، فلا تكون تضحياته رخيصة ولا دمه مجانيا، من أجل هذا كله يواصل شعبنا انتفاضته وصموده الباسل متحديا قبل كل شيء ألمه ومعاناته بالذات، بل متحديا رغبته بالراحة كشعب طبيعي لأنه يدرك أن الراحة الحقيقية والسلام الحقيقي لا يكون إلا باستعادة الحقوق ولا يكون إلا بالكرامة وعيش الأحرار لا عيش العبيد ومن الذي يتجرأ على مجرد الحلم أن شعب فلسطين قد يرضى بأقل من حريته الكاملة.